سلسلة دراسات 11

التعليم الأصيل بالمغرب واستشراف إصلاحه وتجديده



محمد الطريباق اليدري

مفاد
مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات

MANAR AL ISLAM

التعليم الأصيل بالمغرب

واستشراف إصلاحه وتجديده

الكتاب: التعليم الأصيل بالمغرب واستشراف إصلاحه وتجديده

المؤلف: الدكتور محمد الطريباق اليدري

الناشر: مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)

الطبعة: الأولى 1442/2021

ردمك ISBN: 978-9920-9124-1-9

الإخراج الفني: www.islamanar.com

التعليم الأصيل بالمغرب
واستشراف إصلاحه وتجديده
الدكتور محمد الطريباق اليدري

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل غيور على دينه وعقيدته...

إلى كل من أسدى لي نصحا، وقدم لي توجيها....

أهدي عملي هذا....

ملخص عن موضوع العمل

يهدف بحثي هذا الكشف عن نوع من التعليم أصبح في طي النسيان أو هو أقرب، ويتعلق الأمر بالتعليم الأصيل.

إن التعليم الأصيل أو التعليم الديني في أقطار العالم الإسلامي كان هو نقطة الارتكاز وحصنا منيعا ضد كل من أراد استلاب الأمة الإسلامية، وإبعادها عن هويتها الحضارية.

اتخذ التعليم الأصيل من المسجد وحلقات التعليم منطلقا ومقرا، وتطور من حيث مناهجه في مختلف البلدان الإسلامية، فعلا مرة وسمق، وهبط أخرى وتأخر، ولكنه استمر – على كل حال – يشكل الحياة العامة للمسلمين، حتى دقت نواقيس الحضارة الأوربية وجلبت مع خيلها ورجلها العلم الأوربي، وانبهر المسلمون بما حققه هذا الأخير... ومن هنا بدأ الصراع والتجاذب بين أسلوب التعليم القديم وبين الأساليب الحديثة.

آثرت في مدخل هذا البحث الحديث عن الدوافع الذاتية والموضوعية لاختيار موضوع هذا العمل، وكذا الإشكالية العامة والخاصة للبحث، مرورا بذكر المنهجية المعتمدة لمعالجته، مختتما بتحليل المفاهيم الواردة في عنوان هذه الدراسة.

قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول، تضم مباحث ومطالب. خصصت الفصل الأول للتعريف بالتعليم الأصيل في ثلاثة مباحث، كان الأول منها في الرصد الكرونولوجي للمراحل التي مر بها هذا النوع من التعليم في بلادنا في فترات الحماية والاستقلال والمراحل التي أعقبت فترة

الاستقلال. بينما المبحث الثاني فقد تناولت فيه الأهداف الكبرى للتعليم الأصيل، ليبقى المبحث الثالث مخصصا لإبراز وظائف هذا التعليم.

عالجت في الفصل الثاني موقع التعليم الأصيل ضمن الإصلاح الجديد للمنظومة التربوية التعليمية المغربية من خلال مبحثين اثنين. عنونت الأول منهما ب: «موقع التعليم الأصيل في الميثاق الوطني للتربية والتكوين». والثاني ب: «التعليم الأصيل كما جسده الكتاب الأبيض» الذي أعدته لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية. حاولت في هذا الفصل إثبات النصوص المتعلقة بالتعليم الأصيل ضمن كل من «الميثاق» و«الكتاب الأبيض»، ثم إيراد مجموعة من الملاحظات لمهتمين وغيورين على التعليم الأصيل وموقفهم من الوضع الجديد للتعليم الأصيل.

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه سبل إصلاح التعليم الأصيل واستشراف آفاقه الجديدة عبر مبحثين اثنين، كان الأول مخصصا لعرض مجموعة من المقترحات للنهوض بهذا التعليم، بينما الثاني أبرز مجموعة من العوامل للتمكين لهذا النوع من التعليم في بلادنا. وذيلت هذه المقترحات بتوصيات تخص التعليم الأصيل صدرت عن المؤتمر الوطني الأول لأساتذة التربية الإسلامية المنعقد بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان سنة 1997م.

انطلقت هذه الاقتراحات من مبدأ أساسي ألا وهو التوفيق بين الأصالة والمعاصرة وبين عراقة الحضارة المغربية الإسلامية وما تنطوي عليه من قيم إنسانية، وبين مطالب تقدم العصر وما ينطوي عليه من مواكبة لما يعرفه من تفجر معرفي وثورة علمية وتكنولوجية...

وختمت هذا البحث بنتائج ومقترحات.

وقد حددت لهذا العمل الخطاطة التالية:

المدخل، ويتضمن:

الدوافع الذاتية والموضوعية لاختيار البحث.

الإشكالية العامة والخاصة للبحث.

المنهجية المتبعة في البحث.

التحديد الإجرائي للمفاهيم الواردة في عنوان البحث.

وقسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول بعنوان: التعريف بالتعليم الأصيل ومساره

ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: الرصد التاريخي للتعليم الأصيل

المطلب الأول: التعليم الأصيل قبل الاستقلال

المطلب الثاني: التعليم الأصيل بعد الاستقلال

المبحث الثاني: أهداف التعليم الأصيل

المطلب الأول: الأهداف الإنسانية العامة للتعليم الأصيل

المطلب الثاني: الأهداف التربوية التعليمية للتعليم الأصيل

المطلب الثالث: الأهداف الخلقية الروحية للتعليم الأصيل

المبحث الثالث: وظائف التعليم الأصيل

المطلب الأول: وظائف التعليم والتوعية الدينية

المطلب الثاني: وظائف البحث العلمي والإنتاج الفكري

المطلب الثالث: وظائف التأطير والمهام العملية

الفصل الثاني وعنوانه: التعليم الأصيل من خلال الإصلاح الجديد للمنظومة التربوية التعليمية.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: موقع التعليم الأصيل في الميثاق الوطني للتربية والتكوين

المبحث الثاني: التعليم الأصيل كما جسده الكتاب الأبيض

الفصل الثالث وهو بعنوان: سبل الإصلاح والنهوض بالتعليم الأصيل

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: اقتراحات لأجل النهوض بالتعليم الأصيل

المبحث الثاني: عوامل التمكين للتعليم الأصيل

ثم نتائج البحث، وفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

مدخل

كثيرة هي العوامل التي تشكلت فيما بينها لتصل بالأمة إلى ما هي عليه الآن، ولا مسوغ للحديث عن مثبط واحد فقط، بل إن النظر الثاقب يستدعي الإمعان والتثبت للوقوف عليها.

إن التعليم كأساس لا يمكن لأي أمة أن تستغني عنه، فوجودها وزوالها مرتبط به، وموضوعنا هذا يحاول الوقوف على نوع من التعليم أصبح في طي النسيان أو يكاد، نتيجة عوامل عدة امتزجت فيما بينها لتفضي في الأخير إلى هذا الواقع المزري للتعليم الأصيل، والذي ما يزال الإقبار والتهميش يطاله، ابتداء من الضربات القوية التي ما فتئ المتغربون من أبناء أمتنا يلحقونها به حسدا من عند أنفسهم.

فإذا كان الاستعمار قد تميز بطرائق خاصة من التنكيل، فإن من جاء بعده من بني جلدتنا قد حلوا مكانه، ونهجوا نهجه، وكرسوا جهودهم لتحقيق مطامحه، وإذا كان الكثير يتعلل بتطور العصر وتقلباته، وبالمدنية والحضارة الجديدة لضرب التعليم الديني، فليس هناك ما يشفع لهم أمام التردي الأخلاقي والانحطاط الكامل الذي وصلت إليه الأمة.

فالاعتداد بمنجزات الآخر لا يعني بالضرورة صلاح آلياته لتطبيقها على أرض ضمت دينا وحضارة لا تتفقان في شيء مع المستورد المنخول، فلكل خصوصياته ومميزاته، والطفرة الحضارية لن تكون أبدا على حساب مقومات الأمة الأساسية، ومؤشر بروزها خلال قرون مضت... وحسبنا أن الضلال المقيت الذي يعتري جسد الأمة أبان عن حقيقة

الخلل والداء، وأن عملية النهوض والإقلاع الحضاري مرتبطة أساسا بالحفاظ على الأصل.

ويأتي الاستمداد والاستلهام من التعليم الأصيل في تجارب الأمة التعليمية والتربوية ضمن هذا التحدي الحضاري، لذا كانت الرغبة تحدوني في سبر أغوار هذا الموضوع، حيث شكل التعليم الأصيل ومؤسساته وخريجوه صمام الأمان الذي حافظ على تراثنا ومقدساتنا الدينية والوطنية، وأيضا ما مثلته جامعة القرويين من منارة علمية في العالم الإسلامي، يتوافد عليها الطلاب من كل حدب وصوب، بل وحتى الأجانب والمستشرقون الذين نهلوا من حلقات التدريس بهذا الجامع العتيق، ضف إلى ذلك تخريجه لأجيال من العلماء والمثقفين ساهموا في خدمة البلاد والدفاع عنها وتنميتها.

- ترى هل بقي هذا الإشعاع العلمي الحضاري ساري المفعول إلى اليوم؟...

- ولم كان التكالب على تهميش التعليم الأصيل، إن لم نقل محاصرته؟...

وبالنسبة للإشكالية الخاصة، يمكن طرح التساؤلات الآتية:

- أين تكمن قوة وضعف التعليم الأصيل؟...

- وكيف يمكن تطويره مع المحافظة على أصوله؟

- وما السلبيات التي يمكن تلافيها مستقبلا حتى يبقى هذا التعليم الأصيل سالما معافى؟

وفيما يخص المنهج المعتمد، فبعدما عزمت على البحث في هذا الموضوع، انصرفت إلى مطالعة ما تيسر لي من مطالعته، وجمع ما تيسر لي جمعه من المعطيات العلمية وقد كنت حريصا على أن تكون موارد هذا البحث متنوعة، حتى تكون نتائجه أكثر قربا إلى الصواب، لذا اعتمدت المنهج الوصفي التاريخي مستعينا في بعض الأحيان بالمنهج التحليلي بكل ما يحملان من خصوصيات تناسب المادة العلمية التي أشتغل عليها في هذا البحث.

التحديد الإجرائي للمفاهيم الواردة في عنوان البحث

إن التحديد المفهومي للمصطلحات يشكل الخطوة الأولى والأساسية في كل بحث، بغية توضيح الغامض، ودفع كل لبس من شأنه أن يفتح الباب على مصراعيه أمام العديد من التأويلات والاحتمالات التي قد تسبب بدورها اختلافا في الرؤية والتوجه، ومن ثم على الفهم والمناقشة، وخاصة إذا كان لهذه المصطلحات مفاهيم متعددة مختلفة.

التعليم:

في اللغة: من عَلِم: علما الرجل: حصلت له حقيقة العلم. وعلم الشيء: عرفه وتيقنه. وعلم الشيء وبه: شعر به وأدركه. وعلم تعليما وعلاما: الصنعة وغيرها: جعله يعلمها[1].

في الاصطلاح: وردت تعريفات عديدة لمفهوم التعليم في معناه الاصطلاحي.

ووقع اختياري على ما ورد في معجم علوم التربية لمناسبته السياق، وهذا التعريف هو:»فعل يبلغ المدرس بواسطته التلميذ مجموعة من المعارف العامة والخاصة، وأشكال التفكير ووسائله، وجعله يكتسبها ويتعلمها ويستوعبها، وذلك باستعمال طرق معدة لهذا الغرض، واعتمادا على قدراته الخاصة»[2].

1- المنجد في اللغة والأعلام. ص526.
2- معجم علوم التربية، عبد الكريم غريب وآخرون. ص102.

الأصيل:

في اللغة: الأصيل هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه (أصل وآصال وأصائل)، كله جمع أصيلة. وقد أي دخل في الأصيل. وأصيل الرأي أي محكمه. وقد (أصُل) من باب ظرف. ومجد أصيل: ذو أصالة[1].

الأصالة لغة إذن تعني التميز والفرادة ووضوح شخصية الأمة في إنتاج ما. وتعني الخصوصية النسبية التي هيكلها هذا الشعب أو ذاك[2].

في الاصطلاح: الأصالة في اصطلاح المتخصصين في التراث والحضارة، يراد بها الحفاظ على الشخصية والمقومات الروحية والثقافية للأمة من عقيدة وقيم وآداب وفنون وصناعة وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية، ولكن دون أن يفهم من هذا أنها تعني العودة إلى الماضي القومي والانصهار فيه، وعدم الخروج به إلى الإفادة منه في معالجة الواقع المعاصر، واستشراف آفاق المستقبل على ضوء تلك المعطيات، لأن حياة الأمم والأفراد لا تخرج عن كونها ملفات متكاملة تؤسس كل منها على الأخرى... وإنما غدت من منظور الجدلية التاريخية التراثية تتحدد بأنها استعادة جدلية تاريخية تراثية خلاقة أي على نحو يؤكد ويعمق موجبات واحتياجات واقع الأمة وخصوصياتها قيما ومعتقدات وحضارة[3].

التعليم الأصيل:

نظام تربوي تعليمي يحافظ على الشخصية المغربية، والمقومات الروحية والثقافية للأمة، يعمل على تثبيت مبادئ العقيدة الإسلامية

1- مختار الصحاح. أبو بكر الرازي. عنى ترتيبه محمود خاطر. ص18.
2- طيب تيزيني. من التراث إلى الثورة. الجزء 1. ص281.
3- أكرم ضياء العمري. التراث والمعاصرة. كتاب الأمة. العدد10. شعبان 1405 هـ. ص13.

وتعاليمها في المتعلم، ويكسبه القدر الضروري من المعارف والمهارات والقدرات وكذا السلوكات الإيجابية، الشيء الذي يؤهله للاندماج في مجتمعه والتفاعل مع قضاياه للإسهام في تنميته، ومواكبة ركب التطور الإنساني.

استشراف:

الشين والراء والفاء أصل يدل على علو وارتفاع. يقال: استشرفت الشيء، إذا رفعت بصرك تنظر إليه[1].

وبذلك يكون استشراف إصلاح التعليم الأصيل هو الطموح والتطلع والأمل في إصلاحه.

إصلاح:

الصاد واللام والحاء واحد يدل على خلاف الفساد[2]. والإصلاح ضد الإفساد، والمصلحة واحدة المصالح، والاستصلاح ضد الاستفساد[3].

تجديد:

الجيم والدال أصول ثلاثة: الأول: العظمة، الثاني: الحظ، والثالث: القطع.

فالأول العظمة: قال الله جل ثناؤه إخبارا عمن قال: «وأنه تعالى جد ربنا» ويقال جد الرجل في عيني أي عظم.

1- معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس. المجلد 3. ص363.
2- معجم مقاييس اللغة. ص303.
3- مختار الصحاح. الرازي. ص367.

والثاني الغنى والحظ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» يريد لا ينفع ذا الغنى منك غناه، وإنما ينفعه العمل بطاعتك، وفلان أجد من فلان وأحظ منه بمعنى.

والثالث: يقال جددت الشيء جدا، وهو مجدود وجديد أي مقطوع. قال:

أبى حبي سليمى أن يبيدا وأمسى حبلها خلقا جديدا[1].

1- معجم مقاييس اللغة. أبو الحسن بن فارس بن زكرياء. تحقيق وضبط عبد السلام هارون. المجلد الأول. 407.

الفصل الأول:
التعريف بالتعليم الأصيل ومساره

ويشمل ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الرصد التاريخي للتعليم الأصيل
- المبحث الثاني: أهداف التعليم الأصيل
- المبحث الثالث: وظائف التعليم الأصيل

المبحث الأول: الرصد التاريخي للتعليم الأصيل

ويحتوي على مطلبين:

- المطلب الأول: التعليم الأصيل قبل الاستقلال
- المطلب الثاني: التعليم الأصيل بعد الاستقلال

المطلب الأول: التعليم الأصيل قبل الاستقلال

يعتبر التعليم الأصيل النموذج الأمثل الذي كان سائدا في العصور السالفة من العالم الإسلامي، إذ تدين له المجتمعات الإسلامية بانتشار العقيدة الإسلامية والحفاظ عليها، وتنمية العلوم والمعارف المرتبطة بها، وخدمة الثقافة العربية بمختلف الإبداعات والإنتاجات الفكرية والعلمية.

والمغرب تفرد عن باقي البلدان الإسلامية بطرائق خاصة في تدريس العلوم الشرعية، ميزته عن غيره ومنحته صفة الأصالة، فساهم بشكل كبير في الحفاظ على هوية الأمة المغربية ووحدتها.

وفي هذا الصدد يقول الحجوي: «اضطلع التعليم الأصيل بدور هام في المحافظة على أصالة أمتنا، وفي تحصينها ضد المبادئ الاستعمارية الهدامة، ومساعدتها على ضمان تماسكها وترابطها ووحدتها»[1].

ولم يكن هذا «النموذج من التعليم» يعرف بنايات حديثة قبل الاستقلال، كما هو الحال عليه اليوم، بل كانت المساجد ملاذ الدارسين،

1- محمد الحجوي الثعالبي واقع التعليم الأصيل. مجلة «دعوة الحق» المغربية. العدد 260. نونبر 1986. ص58.

وقطب المتعلمين، باستثناء بعض المدارس المتفرقة التي أقامها حكام المسلمين، وبعض أهل الخير والإحسان، وأحاطوها بالعناية الفائقة والمراقبة المستمرة، فنجد «القرويين» بفاس، و«ابن يوسف» بمراكش و«الأزهر» بمصر، يخضع نظام الدراسة فيها لنمط معين، حيث الابتدائي كان يتم في سنوات ثلاث، والثانوي في ست سنوات، والنهائي في سنوات ثلاث[1].

يصف الأستاذ المكي المروني النظام التعليمي خلال فترة الحماية قائلا:«لما دخل الاستعمار البلاد وجد نظاما تعليميا عريقا ومتأصلا في المجتمع. كان هذا التعليم ذا طابع عربي إسلامي، وكان يتمتع بهيكلة واضحة بالرغم من نصوص تنظيمية تؤطره، فقد كان يتألف من مستويين: مستوى قرآني ومستوى ما بعد قرآني»[2].

يقصد الأستاذ بالمستوى القرآني التعليم الذي كان يلقن في «المسيد» للأطفال من مختلف الأعمار بواسطة «فقيه» تؤجره جماعة الحي أو جماعة المدشر لهذا الغرض، وكان الهدف الأساس لهذا التعليم التربية الدينية والأخلاقية أي التنشئة الاجتماعية للصغار.

أما المستوى ما بعد القرآن فهو ينقسم أيضا إلى قسمين: التعليم الثانوي كان يلقن في الجوامع والزوايا، والتعليم العالي الذي انحصر في

1- محمد الأمين الدرقاوي المراكشي. تأملات وآراء حول التعليم الأصيل بالمغرب. مطبعة الأمنية. الرباط 1975. ص59.

2- المكي المروني. الإصلاح التعليمي بالمغرب: 1956-1994. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. الطبعة الأولى 1996. ص13.

بداية القرن العشرين في جامعة القرويين التي كان يدير شؤونها العلماء تحت إشراف قاضي مدينة فاس.

وعن مناهج وبرامج التدريس في هذه الفترة، يذكر الحجوي ما نصه:» وهو يمتاز (أي التعليم الأصيل) بكونه مركزا على اللغة العربية والمواد الإسلامية، منفتحا على الرياضيات والعلوم واللغات الأجنبية، مبلورا للشخصية العربية الإسلامية، والإنسية المغربية الأصلية، كما يمتاز بكونه معربا مائة في المائة، تلقن فيه الفرنسية والإنجليزية والإسبانية كلغات أجنبية لا أقل ولا أكثر»[1].

ولا مندوحة من القول بأن هذا التعليم أدى خدمات جليلة للبلاد، إذ حافظ على العقيدة الإسلامية، وعلى هوية الأمة المغربية، وفي هذا يقول محمد يعقوبي خبيزة: «في ظل التعليم الأصيل بنى المغرب أمجاده التاريخية والحضارية، فكانت حواضره قبلة طلاب العلم يشدون الرحلة إليه من أقصى الدنيا، ناهيكم بما أنجبه من فطاحل العلماء وأئمة الدين ورجال الإصلاح والتجديد، الذين ذاع صيتهم في دنيا الإسلام، وسارت بذكرهم الركبان، إشادة بما أضافوه من عطاءات في مختلف ميادين العلوم والإبداع»[2].

لقد عمل التعليم الأصيل على تخريج ثلة من العلماء الأفذاذ، شهد لمكانتهم القاصي والداني حيث ساهموا بكل ثقلهم في الحياة العلمية والسياسية، فنجد على رأس هؤلاء العلامة عبد الله كنون الذي طبقت

1- محمد الحجوي. واقع التعليم الأصيل. ص58.

2- محمد يعقوبي خبيزة. التعليم الأصيل وجامعة القرويين. مجلة «دعوة الحق» العدد 365. مارس 2002 ص88.

شهرته الآفاق، وكانت له اليد الطولى في الحفاظ على بقايا التعليم الأصيل، وكذلك زعيم الاتجاه السلفي علال الفاسي الذي تقلد مناصب عدة، وساهم بدوره في إغناء المكتبة الإسلامية بمؤلفاته المختلفة.

وثمة دور آخر قام به التعليم في هذه الفترة ألا وهو الذود عن البلاد، ومواجهة الاستعمار. وعن هذا يقول خبيزة:»وقد ظلت قلاع هذا التعليم ومعاهده ومراكزه تمثل صمام الأمان الذي يرد عن الأمة غزو الغزاة وغارة المغيرين العتاة، فإلى جانب حراستها العلمية والدينية، كانت ربطا للجهاد، تذود عن الوطن، وترد كل عدوان واعتداء... حتى إن المستعمر الغاشم قد وصف إحدى قلاعه ب:»البيت المظلم«[1].

هكذا نرى أن التعليم التقليدي كان بالرغم من طابعه المتقادم – حسب الأستاذ المكي المروني – مؤسسة منظمة ومتجذرة في المجتمع، حتى ولو لم تكن مؤطرة بشبكة قوانين مكتوبة، والأهم من هذا هو أنه كان يقوم بدور أساسي في عملية الانسجام الاجتماعي والتماسك الثقافي، لكن دخول التعليم الاستعماري إلى المغرب لن يلبث أن يوجه السهم إلى هذا الدور بالذات[2].

المطلب الثاني: التعليم الأصيل بعد الاستقلال

عندما استرجع المغرب استقلاله، اقتضت هذه المرحلة من القائمين على البلاد، محاولة تغيير جذري وشامل للتعليم الأصيل الذي مثله آنذاك كل من «جامعة القرويين» و«جامعة ابن يوسف» وبعض المعاهد

1- محمد يعقوبي خبيزة. التعليم الأصيل وجامعة القرويين. ص88.
2- المكي المروني. الإصلاح التعليمي بالمغرب. ص14.

في سوس وتطوان، ومن ثم عمل أصحاب القرار على استحداث معاهد وثانويات وكليات تناسب السير الجديد للعصر، وتواكب متطلباته.

يقول محمد عابد الجابري: «ومهما يكن من أمر، فإن التعليم الأصلي قد بقي كيانه قائما طوال السبع عشرة سنة التي مرت منذ استقلال المغرب كنوع يفرض نفسه كلما طرح مشكل التعليم، سواء في الأوساط الرسمية أو خارجها.

أما الموقف الحقيقي للدولة من التعليم الأصيل فهو غير واضح وغير محدد، إنه موقف تمليه الظروف والملابسات السياسية أكثر مما تحدده خطة عامة أو سياسة تعليمية قارة، شأنه شأن القطاع التعليمي ككل»[1].

إن المحافظة على التعليم الأصيل باعتباره كيان الأمة ورمز وجودها، وكذا السعي الحثيث والجهود الرامية إلى تحقيق وحدة البلاد، شجع أصحاب القرار على استحداث معاهد وكليات جديدة للتعليم الأصيل.

هذا بالإضافة إلى تلبية الدعوات والنداءات المتكررة من طرف بعض العلماء الأفاضل أمثال العلامة عبد الله كنون، والشيخ الفاروق الرحالي والشيخ التهامي الوزاني...

إن إنشاء مؤسسات التعليم العالي الأصيل من كلية أصول الدين بتطوان، وكلية الشريعة بكل من فاس وأكادير، وكلية اللغة العربية بمراكش، إنما تم بعد الاحتكام إلى الملك الراحل الحسن الثاني الذي فصل الأمر بين وزير التعليم آنذاك ورابطة علماء المغرب.

1- محمد عابد الجابري. أضواء على مشكلة التعليم بالمغرب. دار النشر المغربي. البيضاء. بدون تاريخ. ص76.

كان هذا الإجراء بعد إحداث جامعة أخرى، أدخلت عليها علوم حديثة أصبحت منافسة بذلك لجامعة القرويين.

وفي هذا الصدد يقول العلامة محمد الكتاني: «عوض أن تجعل فترة الاستقلال من جامعة القرويين أكثر إشعاعا وحضارة وتطورا، أنشئت بالمقابل جامعات أخرى وأدخلت إليها كثيرا من العلوم الحديثة، وأصبحت منافسة لها، ومن أجل تدارك ما لحق القرويين من إهمال تمت تسميتها بالجامعة، وأنشئت لها فروع أربعة: فرع بتطوان، ويسمى بكلية أصول الدين، وفرع بمراكش خصص لتدريس اللغة العربية، وفرع بأكادير بكلية الشريعة، وفرع بفاس وهو كلية الشريعة، وهي كليات لا تزال إلى اليوم قائمة الذات[1].

ولقد توجت جهود الدولة المبذولة تجاه التعليم الأصيل بوثبة هامة في السبعينيات، حيث أنشئت «مديرية» خاصة به بوزارة التربية الوطنية، وبوشر إصلاحه من القاعدة إلى القمة بكيفية تدعو إلى الانشراح والتفاؤل بمستقبله ومصيره[2].

وفي أواخر سنة 1972، تم تشكيل لجنة وزارية لدراسة ملف التعليم الأصيل بشقيه التربوي والمادي، وغيرت تسميته من «الأصلي» إلى «الأصيل». كما قامت اللجنة بمراجعة برامج التعليم الثانوي الأصيل، وتطعيمها بالمواد العلمية والرياضية، وتعزيزها بحصص من اللغات

1- محمد الكتاني. جريدة المستقل «المغربية» عدد خاص عن «جامعة القروين بين ماضيها المجيد وحاضرها المنسي» أبريل 2004.

2- محمد الحجوي. واقع التعليم الأصيل. ص58.

الأجنبية مع استحداث شعبة جديدة أطلق عليها الشعبة العلمية الأصيلة[1].

كما قررت اللجنة الوزارية إصلاح الثانويات الأصيلة وتزويدها بالداخليات، وبجميع المرافق الضرورية لتلك الغاية خلال التصميم الخماسي 1973-1977.

وأيضا سعت «المديرية» إلى تأليف مجموعة من الكتب الدراسية لمختلف الأقسام بأساليب ملائمة للعصر ولمستوى التلاميذ، مع إحداث طفرة نوعية في البرامج والحصص ووسائل الطبع[2].

لقد أبدى الأستاذ الحجوي تفاؤلا كبيرا بخصوص مسار التعليم الأصيل، لكن الواقع المعيش ينم عن شيء آخر، ويهدي إلى الإقرار والاعتراف بحقيقة التهميش واللامبالاة التي يتعرض لها هذا النوع من التعليم.

إن المديرية التي أنشئت سنة 1972 بمقر وزارة التربية التعليم، ستعرف تقلبات وتغيرات شكلية طوال السنوات التي احتدم فيها الصراع بين أنصار التعليم العربي الإسلامي، وأنصار التعليم العصري الذي همش فيه أو أهمل الجانب الديني الذي كان روح التعليم في بلادنا، قبل أن يكتسحها سراب الحضارة الغربية التي جرف سيلها الشباب، وطمست معالم حضارتنا العربية والإسلامية أو حاولت ذلك.

1- المرجع نفسه. ص58.

2- المرجع نفسه. ص58-59.

فقد حملت «المصلحة» في أول الاستقلال اسم «التعليم الإسلامي العالي» ثم استبدل إلى جناح بداخل الوزارة انتهت بتوزيعها على المصالح الإدارية التي تتألف منها الوزارة: مصلحة الابتدائي، مصلحة الثانوي، مصلحة العالي... غير أن هذه المصلحة، لم تلبث أن فصلت مرة أخرى عن وزارة الثقافة، وأعيدت إلى جناح في وزارة التربية الوطنية وأطلق عليها اسم «مديرية التعليم الأصيل»[1].

إن التعليم الأصيل عانى في سبيل نهضته وتطوره العناء الكبير، فإذا كانت نظرة المستعمر إليه قبل الاستقلال يشوبها الخوف والارتياب والمحاربة لعلمائه وطلابه، ورميه بأشنع الأوصاف والنعوت، فإنه في مرحلة الاستقلال قد حورب في عقر داره من أبناء جلدته...

وفي هذا الصدد يذكر أحمد نجيب البهاوي ما نصه: «ومن الحقائق أن ندرك أسباب محاربة هذا التعليم في عقر داره، وبين أهله من مدخول العقيدة الذين لا يهمهم وطنهم، ولا نهضة ثقافته، ولا مقومات دينه، وإنما يهمهم بالدرجة الأولى الولاء الجبان لمبادئ وثقافات دخيلة مدسوسة».

ويمضي الأستاذ البهاوي في تعداد عراقيله ومشاكله قائلا: «وغني عن البيان أن نذكر المراحل التي اجتازها هذا التعليم بعد الاستقلال إلى الآن، وما أصابه من العثرات، وما حيك لوأده من مؤامرات، وما أصابه من المحن والملمات، وما لحق بذويه من إهمال وإهانات»[2].

1- المتوكل عمر الساحلي. المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس.. دار النشر المغربية. البيضاء. السنة 1986. الجزء الثاني، ص322-323.

2- أحمد نجيب البهاوي. التعليم الأصيل ضروري للإبقاء على مقوماتنا الثقافية والحضارية. جريدة «الميثاق» العدد 329. السنة 11/17 شتنبر 1980 الموافق لفاتح ذي القعدة 1400هـ.

إن التعليم الأصيل ظل منذ الاستقلال إلى اليوم بين مد وجزر – حسب الجابري – فبعد أن عرف نموا واتساعا في السنوات الأولى من الاستقلال حيث تم توسيع قواعده الابتدائية والثانوية وإنشاء مراكز جديدة، تقرر في التصميم الخماسي الأول (1960-1964) العمل على حذفه تدريجيا بأن لا يقبل التلاميذ في دوره الابتدائي، وذلك ضمن خطة عامة من أجل تحقيق التوحيد[1].

وقد وسمت السنوات 1960-1971 بسنوات تراجع التعليم الأصيل، حيث تم حذف المدارس الابتدائية الأصيلة كما سبقت الإشارة، مما أدى إلى تراجع وتيرة الالتحاق بالتعليم الأصيل، حيث صار عدد التلاميذ 8384 تلميذا سنة 1970-1971[2].

وتتسم المرحلة الممتدة من سنة 1973 إلى سنة 1987 بكونها أرست البنيات الأساسية، حيث تم بناء 19 مؤسسة ثانوية للتعليم الأصيل بأغلب مدن وأقاليم المملكة، بالإضافة إلى مدرسة ابتدائية مستقلة، كما تم تحديد ومراجعة برامج التعليم الأصيل والتخفيف منها.

وبناء على التوجه الإصلاحي لسنة 1985 تم إحداث جذع مشترك.

وأيضا انقسمت الشعبة الأدبية الشرعية إلى شعبتين، كما أن المرحلة الابتدائية لهيكلة التعليم الأصيل أعيد الاعتبار إليها.

تشكل السنوات الممتدة بين 1988 و 2000 مرحلة الإصلاح والتجديد في التعليم الأصيل وهيكلته حيث تم بناء ثلاث مؤسسات للتعليم الأصيل

1- محمد عابد الجابري. أضواء على مشكلة التعليم بالمغرب. ص75.
2- عن جريدة «المحجة» عدد مزدوج 194-195 السنة 2003.

من 14 مؤسسة مبرمجة في التصميم الخماسي 1988-1992، كما أعيد النظر في مواد التعليم الأصيل وحصصه من لدن لجنة ممثلة لكل من أكاديميتي مكناس وتطوان، نتج عن أعمالها تخفيف في الحصص.

وابتداء من الموسم الدراسي 1999-2000 شرع في فتح أقسام للتعليم الأصيل الثانوي بمؤسسات التعليم العام[1].

ومن خلال الجدول التالي نتبين هيكلة التعليم الأصيل في مراحله ومستوياته وشروط الالتحاق به[2]:

المرحلة	المستويات	الالتحاق والتوجيه
الابتدائي	تتكون من أربع سنوات دراسية	حفظ القرآن الكريم كلا أو بعضا مع التساهل في السن، وترتيب المقبولين في المستويات المناسبة من لدن لجنة المعلمين
الثانوي الإعدادي	تتكون من ثلاث سنوات دراسية	تلاميذ التعليم الابتدائي الأصيل تلاميذ السنة السادسة من التعليم الابتدائي العام

1- عرض مرئي علق عليه الدكتور «عبد الرحمان الرامي» مدير البرامج والمناهج بوزارة التربية الوطنية والشباب. ضمن أشغال اليوم الدراسي الأول. عن التعليم الابتدائي الأصيل، الذي نظمته جريدة «المحجة» ونشرته في عددها المزدوج 194-195. الصادر في 09 يونيو 2003.

2- عرض السيد مدير «مديرية البرامج والمناهج».

الثانوي التأهيلي	الجذع المشترك سنة دراسية	التلاميذ الناجحون بالسنة السابعة من التعليم الإعدادي الأصيل. التلاميذ الناجحون في السنة التاسعة من التعليم الإعدادي العام. التلاميذ الذي استنفذوا سنوات تمدرسهم بالسنة التاسعة من التعليم الإعدادي العام في حدود الأماكن الشاغرة اعتمادا على دراسة ملف الترشيح من لدن لجنة نيابية.
	العلوم التجريبية ثلاث سنوات دراسية	التلاميذ الناجحون في السنة السابعة من التعليم الأصيل التلاميذ الناجحون في السنة التاسعة من التعليم العام.
	الشعب: الآداب الأصيلة وتستغرق مدة الدراسة سنتين. الشرعية الأصيلة وتستغرق مدة الدراسة سنتين.	

وفيما يخص تأليف الكتاب المدرسي بالتعليم الأصيل فقد مر هو الآخر بمجموعة من المراحل:

ففي المرحلة الأولى: كان التعليم الأصيل يعتمد على تصانيف العلماء المتقدمين، ولم تكن ثمة حاجة ماسة لتأليف كتب دراسية أو وجودها، فطلبة المعهد الديني كان لهم من العلم والمعرفة الشيء الكثير، فلا نجد ملتحقا بالتعليم الأصيل إلا وهو حافظ لكتاب الله تعالى وبعض المتون

المتعارف عليها: كألفية ابن مالك في النحو، والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر في الفقه...

وتحديد المصنفات المبتغى دراستها إنما كان موكولا للمدرس، إذ كانت له الصلاحية المطلقة في اختيار ما يناسب السنة الدراسية، وسار الأمر على هذه الحالة سنين عديدة.

أما في المرحلة الثانية: فقد ابتدأت مع التوجهات الإصلاحية لسنة 1985، حيث اقتضى الأمر تأليف الكتب المدرسية في التعليم الأصيل لأسباب مختلفة، نجملها فيما يلي:

- عدم وجود المتعلمين في مستوى الطلبة الوافدين من البوادي المغربية الذين كان لهم الزاد المعرفي الوافر.
- صعوبة التعامل مع المصنفات القديمة، وعدم قدرة الطالب الجديد على الوصول إلى كنهها ومضمونها قصد استيعابها والاستفادة منها.
- ظروف العصر ومتطلباته، دفعت بالقائمين على «أمر التعليم» على بلورة نظام تعليمي قائم على برامج وكتب مدرسية موحدة.

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ الحجوي -مدير التعليم الأصيل سابقا-:

«نظرا لما للكتاب المدرسي من أهمية سواء بالنسبة للأستاذ أو التلميذ، فإن مديرية التعليم الأصيل عملت على تكوين لجنة للتأليف تضم نخبة من خيرة المفتشين المنتمين إلى التعليم الأصيل، انكبت على

تأليف أربعة كتب للسلك الأول الثانوي تتعلق بالتوحيد والفقه والحديث والأخلاق من خلال القرآن الكريم»[1].

ولقد أعطت اللجنة المنكبة على دراسة وثيقة إصلاح التعليم الأصيل لسنة 1985 أهمية بالغة للكتب المدرسية في السلك الأول الثانوي، ولا زالت خلايا التأليف تتابع عملها لإتمام مرحلة التعليم الثانوي إلى يومنا هذا...

ورغم هذه الطفرة النوعية، فقلما نعثر على كتب التعليم الأصيل في المكتبات، نتيجة وجود مؤسسة وحيدة للتعليم الأصيل في كل مدينة، الأمر الذي أفضى إلى عدم اقتنائها من طرف أرباب المكتبات لما قد ينجم عن ذلك من خسارة.

وهذا تعليل – كما يبدو – واه لا أساس له من الصحة.

1- محمد الحجوي الثعالبي. واقع التعليم الأصيل. ص59.

المبحث الثاني: أهداف التعليم الأصيل

ويحتوي على تمهيد وثلاثة مطالب:

- تمهيد
- المطلب الأول: الأهداف الإنسانية العامة للتعليم الأصيل
- المطلب الثاني: الأهداف التربوية التعليمية للتعليم الأصيل
- المطلب الثالث: الأهداف الخلقية الروحية للتعليم الأصيل

تمهيد:

يحتل التعليم الأصيل أهمية كبرى في حياة المسلمين بما هو امتداد واستمرار للمنظومة التربوية التي عرفتها المجتمعات التي تدين بدين الإسلام، وأيضا بما حقق من أهداف وغايات سامية.

إن التعليم الأصيل قد عرف تعديلات وإصلاحات متعددة في الأهداف التي يروم تحقيقها، وذلك تبعا لتجدد أهداف المجتمع المغربي وتغير أحواله.

فالأهداف التي حققها هذا النوع من التعليم في فترة الحماية هي غيرها التي رام البلوغ إليها في بداية الاستقلال وخروج المستعمر، وأيضا الأهداف المرتقبة اللاحقة ستختلف بالتأكيد عن سابقاتها.

إن الأهداف التي يجب أن يحققها التعليم الأصيل في وقتنا الراهن يجب أن تزاوج بين الأصالة والمعاصرة بمعنى أن تتشبت بهوية الأمة من جهة، وأن تنفتح على العصر وتواكب مستجداته وتطوراته من جهة ثانية.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور خبيزة: «والأهداف التي تنشدها الدراسات الأصيلة للعلوم الإسلامية يجب أن تنبع من ضرورة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، بين عراقة الحضارة العربية الإسلامية وما تنطوي عليه من قيم إنسانية، وبين مطالب تقدم العصر وما ينطوي عليه من مواكبة لما يعرفه العالم من تفجر معرفي وثورة علمية تكنولوجية، مع التأكيد دائما على الأصالة وما تختزنه من طاقات لمواكبة جميع أنواع التحديات المعاصرة»[1]. ومهما تعددت الأهداف وتنوعت الغايات، فإنه يمكن تصنيفها إلى أصناف ثلاثة: أهداف إنسانية عامة، أهداف تربوية تعليمية، وأهداف خلقية روحية.

المطلب الأول: الأهداف الإنسانية العامة للتعليم الأصيل

وتتجلى هذه الأهداف العامة في مجموعة نقط يمكن إجمالها فيما يلي:

1 - الحفظ على تراثنا الإسلامي ومقوماتنا الروحية والثقافية التي ظلت نبراس الأمة المضيء في مواجهة الغزو الاستعماري على مر العصور، والتي عملت على انسجام المغاربة والتحامهم،

1- محمد يعقوبي خبيزة. التعليم الأصيل وجامعة القرويين في مواجهة تحديات العصر الحديث. مجلة «دعوة الحق» المغربية. العدد 365. مارس 2002. ص89-90.

ووحدة آلامهم وآمالهم، وحصنتهم في هويتهم المتميزة، وقيمهم الروحية والأخلاقية، وما لهم من ثوابت دينية ووطنية[1].

ويبرز هذا الدور للتعليم الأصيل الدكتور محمد يسف قائلا: «التعليم الأصيل، أو التعليم الوطني المغربي هو قلب هذه الأمة وكبدها، وصمام أمنها ومجسد هويتها، ومحدد شخصيتها، ودليل على الوحدة والعزة والاستقلال والحرية»[2].

2 - الحفاظ على الوحدة الدينية والمذهبية للمغرب في ضوء العقيدة الأشعرية على مستوى العقيدة، والمذهب المالكي على مستوى الفقه والتشريع، والتصوف السني.

3 - حمل رسالة الإسلام وقيمها الخالدة، ودعوة الإنسانية، وتخليصها من خلال العقائد الفاسدة والمذاهب الهدامة، والوقوف في وجه أعداء الدعوة الإسلامية لدحض شبهات المفترين على الدين بالحوار وبالحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن[3].

1- محمد يعقوبي خبيزة. المرجع السابق. ص90.

2- الدكتور محمد يسف. كلمة جمعيات العلماء بمناسبة اليوم الدراسي للتعليم الابتدائي الأصيل من تنظيم «جمعية قدماء التعليم الأصيل بفاس» في 9 ماي 2003 نشرت أشغال هذا اليوم. جريدة «المحجة» في عددها المزدوج 195/194 الصادر في 09 يونيو 2003م.

3- محمد يعقوبي خبيزة. مرجع سابق بتصرف. ص90.

المطلب الثاني: الأهداف التربوية التعليمية للتعليم الأصيل

يعمل التعليم الأصيل ضمن هذه الأهداف إلى إمداد البلاد بعلماء متضلعين في العلوم الإسلامية، منفتحين على مختلف العلوم الحديثة.

يقول الأستاذ الدكتور محمد يسف:» وهو (أي التعليم الأصيل) الذي أطر حياتها في مختلف مجالاتها منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة، أنجبت خلالها أعلاما شوامخ أفذاذا كانوا ملء سمع الدنيا وبصرها، وخلدوا من الأمجاد العلمية والابتكارات المعرفية ما نحت أسماءهم في سجل الخالدين، وجعل ذكرهم على كل لسان، وأكد أن العبقرية والنبوغ لم يغيبا لحظة عن رحلة تاريخنا العلمي»[1].

ولن يتم هذا الهدف الأسمى والكبير – في نظر الأستاذ محمد يعقوبي خبيزة – إلا بتحقيق مجموعة شروط، منها:

1 - تكوين جيل قوي بإيمانه، معتز بوطنه وعروبته، متفتح على المعارف العصرية، ومواكب للمستجدات الثقافية والتربوية... والإنسانية دون انبهار أوضاع أو استغراب أو استلاب.

2 - تمكين المتعلم في التعليم الأصيل من اكتساب المهارات والمعارف الكفيلة بتمكينه من الإسهام في تأسيس مستقبل ثقافي وحضاري للأمة الإسلامية، وأيضا بتأهيله على الانفتاح على التجارب الإنسانية الأخرى وإعطائه التصور الملائم للحياة المعاصرة، ومعايشة المستجدات العلمية والتقدم التكنولوجي قصد تطوير الفكر الإسلامي والعمل على إغنائه للفكر العالمي.

1- محمد يسف. مرجع سابق.

كما يعمل على تمكين بلد المغرب من القيام بدوره الريادي في مجال الدعوة الإسلامية، ونشر العلم والمعرفة سواء في إفريقيا أو أوروبا أو بقية أقطار العالم، وذلك عبر تزويد البلاد وإمدادها بالأطر المتخصصة لبث هذا الوعي في الداخل والخارج[1].

المطلب الثالث: الأهداف الخلقية الروحية للتعليم الأصيل

إن أهداف التعليم الأصيل من الناحية الخلقية والروحية تكمن في تخريج وتأهيل أجيال من العلماء والمربين والمسلمين.

ذلك أن صاحب هذا النوع من التعليم يعتبر ذا رسالة إصلاحية يسعى في الناس وتبليغها إياهم، متحليا أثناء قيامه بذلك بمختلف الصفات التي ميزته الشريعة الغراء بها من إخلاص وحلم وصبر وأناة ودعوة بالحكمة وبالتي هي أحسن. قال الله تعالى: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين»[2]. وقال سبحانه وتعالى:»ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»[3].

إن بعض هذه الأهداف التي تم استعراضها سواء ما كانت منها إنسانية عامة أو تربوية أو خلقية روحية تجلي مدى ضرورة وأهمية التعليم القائم على «الدراسات الأصيلة للعلوم الإسلامية» وخاصة في

1- محمد يعقوبي خبيزة. وقفة مع إصلاح التعليم الأصيل وجامعة القرويين. مقال ضمن جريدة «التجديد» المغربية، عدد خاص حول «إصلاح نظام التربية والتكوين بالمغرب» سنة 2000.

2- سورة فصلت. الآية 33.

3- سورة النحل. الآية 125.

مثل هذه الظروف العصيبة التي تمر منها أمتنا الإسلامية جراء تكالب الأعداء عليها من الخارج، ومحاولة هدمها من الداخل من أبناء جلدتنا.

هذا الوضع يجعل مسؤولية الإنقاذ والأمل في الإصلاح على يد علماء وخريجي هذا النوع من التعليم بما يقدمونه من نصح سديد وتوجيه حكيم وعمل متواصل.

المبحث الثالث: وظائف التعليم الأصيل

ويحتوي على تمهيد وثلاثة مطالب

- تمهيد
- المطلب الأول: وظائف التعليم والتوعية الدينية
- المطلب الثاني: وظائف البحث العلمي والإنتاج الفكري
- المطلب الثالث: وظائف التأطير والمهام العملية

تمهيد

يعد التعليم الأصيل أساسا للنهضة العلمية والحضارية، بما هو متجذر في بلاد المغرب ومتغلغل في الروح المغربية، لأن عليه تقوم أخلاق الأمة، وهو الذي يحفظ لها شخصيتها العربية الإسلامية والقومية، وأيضا بما يؤديه هذا النوع من التعليم من وظائف في الحياة العلمية والعملية للأمة من خلال الأعمال الرسمية والأنشطة الشعبية التي يقوم بها خريجوه والمنتسبون إليه في مختلف القطاعات والمجالات.

ويمكن حصر وظائف هذا التعليم في ثلاثة وظائف، سنعمل على تجليتها في مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: وظائف التعليم والتوعية الدينية

يعتبر المنتمون للتعليم الأصيل وخريجوه القلب النابض في المنظومة التربوية وفي الدعوة إلى الله تعالى أيضا، وعليهم المعول في نقل الأهداف والمبادئ والقيم التي تؤمن بها الأمة الإسلامية إلى الأجيال الحالية والصاعدة والمتعاقبة لاحقا..

كما تبقى الآمال معقودة على المنتسبين إليه في التوعية والتوجيه وكذا احتضان وتربية شباب الأمة... بما لديهم من إمكانيات ومؤهلات لتبليغ مختلف العلوم الإسلامية، وتدريس مواد اللغة العربية والفكر والحضارة الإسلاميين، وغيرها من الأنشطة والأعمال التي يقومون بها في مختلف المؤسسات والأندية من مساجد ومؤسسات تعليمية ودور شباب...

ناهيك عن الوعظ والإرشاد في المساجد من خلال الوسائل السمعية والبصرية وسائر أجهزة الإعلام، مما ينتج عنه العمل باستمرار على ترسيخ القيم الإسلامية، وإشاعة الفضائل واجتثاث الرذائل، والرفع بالمستوى العلمي والثقافي، بل والحضاري للأمة الإسلامية.

المطلب الثاني: وظائف البحث العلمي والإنتاج الفكري

إن البرهنة على مدى أهمية التعليم الأصيل ومكانته في حياة الأمة لصيق بما يؤديه من وظائف، وما يحققه خريجوه من نتائج وأعمال جليلة...

ومن المجالات التي برزت فيها عطاءات هذا النوع من التعليم، وكانت له قدم السبق فيها، ميدان البحث العلمي. يؤيد هذا الرأي ما أكد عليه الدكتور خبيزة بقوله: «لقد سبق العلماء المسلمون العالم أجمع في هذا المضمار، إذ عكفوا منذ بدء الدعوة الإسلامية على البحوث العلمية والإنتاج الفكري في مختلف المجالات، وقدموا للعالم مالا يضاهى من

مؤلفات واكتشافات لا زالت لحد الآن محط عناية بالتحقيق والدراسة قصد الاستيعاب والاستفادة»[1].

إن تحقيق هذه المنجزات في الماضي يستوجب من طلبة الدراسات الأصيلة للعلوم الإسلامية وعلمائها – حسب رأي الدكتور خبيزة – أن يتابعوا مسيرة البحث العلمي بما يتفق مع مستجدات هذا العصر من إمكانيات، ويلبي للأمة متطلباتها وذلك عبر:

1 - البحث عن الأحكام الشرعية المستجدة والمشكلات المعاصرة، وعرض موقف الإسلام منها، في إطار لا يخرج عن المذاهب السنية المعتدلة ومبادئ الشريعة التي تبرز وسطية الإسلام واعتداله وسيره وصلاحيته لكل زمان ومكان، مع المتابعة والمشاركة في بحوث المنظمات والهيئات التي تعمل في هذا المجال كالمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي وغيره من المراكز العلمية الإسلامية.

2 - التعاون على تقنين الفقه الإسلامي وتسييره بما يناسب الظروف المعاصرة، وما عرفته الإنسانية من تطورات في مختلف مجالات الحضارة وضروب المعرفة.

3 - التعاون على خدمة الموسوعات العلمية في مختلف أصول وفروع الشريعة ومقاصدها العامة، والتنقيب عن التراث الإسلامي والعمل على تنقيحه وصيانته وخدمته بالتحقيق والدراسة والنشر والإذاعة والترجمة، إبرازا لأهميته، وإشادة

1- محمد يعقوبي خبيزة. التعليم الأصيل وجامعة القرويين. مجلة دعوة الحق. ص92-93

بقيمته، وتمكينا لأجيال الأمة من الاستفادة منه، والتأثر بمضامينه والعمل به مستقبلا.

4 - تصنيف الكتب والمؤلفات، وتدبيج البحوث والمقالات، وإلقاء الخطب والمحاضرات، والمشاركة في الندوات والملتقيات، وتهيئ برامج الإذاعة والتلفزة...

ونحو ذلك من الإنتاج الفكري الذي من شأنه أن يثري الفكر والعلوم الشرعية والإنسانية، وترفع المستوى العلمي والثقافي والحضاري والخلقي لمجموع أفراد الأمة[1].

المطلب الثالث: وظائف التأطير والمهام العملية

يذكر الدكتور محمد يعقوبي خبيزة أن المنتسبين لهذا التعليم (أي التعليم الأصيل) هم الذين يمدون الدوائر الحكومية بالأطر الفعالة للقيام بالكثير من المهام العملية، سواء على صعيد وزارة «التعليم والتربية الوطنية» أو «على صعيد وزارة «الأوقاف والشؤون الإسلامية»، أو على صعيد وزارة «العدل» أو على صعيد غيرها من الوزارات الأخرى[2].

ويمضي في تفصيل هذه الوظائف قائلا:» فعلى صعيد وزارة التعليم والتربية الوطنية نجدهم – بالإضافة إلى تعليم المواد المتصلة باختصاصهم

1- محمد يعقوبي خبيزة. وقفة مع إصلاح التعليم الأصيل وجامعة القرويين في مشروع الميثاق. مداخلة ضمن اليوم الدراسي حول مشروع ميثاق التربية والتكوين الذي نظمته جمعية قدماء التعليم الأصيل ونشرته المحجة في عددها 124 في 16 فبراير 2000.

2- محمد يعقوبي خبيزة. وقفة مع إصلاح التعليم الأصيل. جريدة المحجة. العدد 124. سنة 2000م.

– يقومون بتأطير المؤسسات التعليمية من الناحية الإدارية، ويتابعون بالتفتيش والإرشاد والتوجيه التربوي من يعينهم من معلميها وأساتذتها».

«وعلى صعيد وزارة الأوقاف نجدهم هم المكلفون بالأذان وإقامة الصلاة والإمامة وخطبة الجمعة وصلاة العيدين، وعليهم المعتمد في دروس الوعظ والإرشاد وبث التوعية الدينية بالمساجد والإذاعة والتلفزة، وهم المكونون لأعضاء البعثات الموجهة لجاليتنا بالدول الأجنبية، ومنهم تتكون الأغلبية المطلقة من أعضاء المجالس العلمية بالمملكة».

« وعلى صعيد وزارة العدل فإن المنتسبين لهذا التعليم – بحكم تكوينهم الشرعي والقانوني – فإنهم يتولون مناصب القضاء والإشهاد وتوثيق العقود، وكتابة للضبط وأيضا مناصب الحسبة والمحاماة، وكذا تسجيل محاضر الجلسات... ونحو ذلك مما يتعلق بشؤون العدل والقضاء بوجه عام»[1].

إن على المنتسبين لهذا التعليم الأصيل من طلبة وخريجين وعلماء تقع المسؤولية لكي يؤدي هذا النموذج من التعليم وظائفه المنوطة به، لكي يبرهن عمليا على أهميته وجلالة قدره للأمة بما يحقق لها على أيدي هؤلاء من خير وصلاح وسعادة وفلاح، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»[2].

1- محمد يعقوبي خبيزة. المرجع نفسه.
2- سورة التوبة. الآية 122.

وصدق رسوله الكريم عندما قال فيما رواه البخاري:»من يرد الله به خيرا يفقه في الدين»[1].

1- صحيح البخاري. كتاب العلم. باب «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» رقم الحديث 13.

الفصل الثاني:
التعليم الأصيل من خلال الإصلاح الجديد

ويضم تمهيدا ومبحثين:

- تمهيد
- المبحث الأول: موقع التعليم الأصيل في الميثاق الوطني للتربية والتكوين
- المبحث الثاني: التعليم الأصيل كما جسده الكتاب الأبيض.

تمهيـــد:

بعد الإعلان عن استقلال المغرب، اتجه الوطنيون المغاربة إلى ضرورة توفر المغرب على تعليم وطني مستقل، باعتباره وسيلة لتحقيق التقدم والرقي، وأداة لبلوغ التنمية المنشودة.

في هذا الإطار تم وضع وصياغة مشاريع عدة لإصلاح هذا القطاع، ابتداء من سنة 1957 حيث إنشاء اللجنة العليا لإصلاح التعليم وإحداث كليات وطنية، مرورا بمجموعة من المحطات والمناظرات، ووصولا إلى الإصلاح الجديد المجسد في الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي رأى النور سنة 1999، وبدأ تطبيق بنوده سنة 2000.

ولقد احتل التعليم الأصيل موقعا ومكانة في كل من «الميثاق الوطني للتربية والتكوين» ومن «الكتاب الأبيض» الذي يعد تدابير إجرائية ونقطا تفصيلية لبنود هذا الميثاق.

خلف موقع التعليم الأصيل ضمن المنظومة التربوية الجديدة جدلا وخلافا بين مجموعة من المهتمين والفعاليات ذات الصلة والارتباط بهذا النوع من التعليم.

وهذا ما سأتناوله في المبحثين التاليين.

المبحث الأول: موقع التعليم الأصيل في الميثاق الوطني للتربية والتكوين

حدد الميثاق الوطني للتربية والتكوين مكانة التعليم الأصيل ضمن دعامته الرابعة الخاصة بإعادة الهيكلة وتنظيم أطوار التربية والتكوين، حيث جاء في المادة 88 ما نصه:

«- تحدث مدارس نظامية للتعليم الأصيل من المدرسة الأولوية إلى التعليم الثانوي مع العناية بالكتاتيب والمدارس العتيقة وتطويرها وإيجاد جسور لها مع مؤسسات التعليم العام.

- تنشأ مراكز متوسطة لتكوين القيمين الدينيين، وتراجع التخصصات بناء على المتطلبات الآنية والمستقبلية.

- يقوى تدريس اللغات الأجنبية بالتعليم الأصيل.

- تمد جسور بين الجامعات المغربية ومؤسسات التعليم العالي الأصيل وشعب التعليم الجامعي ذات الصلة على أساس التنسيق والشراكة والتعاون بين تلك المؤسسات والجامعات»[1].

لقد أثار التنصيص على التعليم الأصيل في المادة 88 من الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وتخصيصه بثمانية أسطر من مجموع ثلاث وثمانين صفحة منه، حفيظة ثلة من العلماء والمهتمين بالتعليم الشرعي عموما.

1- الميثاق الوطني للتربية والتكوين. اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين. 1999. ص14.

وفي هذا الصدد تم تنظيم مجموعة من اللقاءات والأيام الدراسية شاركت فيه مختلف الجمعيات والعلماء المهتمين بالتعليم الأصيل، بتنسيق مع وزارة التربية الوطنية والشباب ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

يوضح الأستاذ عبد الله العلوي الشريفي هذا بقوله: «سبب عقد جمعيات علماء المغرب للقاءاتها مع وزارة التربية الوطنية هو أن الميثاق الوطني للتربية والتكوين لم يهتم بالتعليم الأصيل، وجاءت المادة 88 تتحدث عنه فيما لا يتعدى 7 أسطر»[1].

وفي نفس السياق يعتبر الأستاذ محمد بن معجوز أن: الميثاق الوطني للتربية والتكوين همش التعليم الأصيل، وأقل ما يقال عنه (أي الميثاق) أنه وضع لدولة فيها أقلية مسلمة ينبغي أن يخصص لها المشروع بضعة أسطر لتعليمها الأصيل[2].

وفي موضع آخر يذكر ما نصه: «قلص هذا المشروع دور التعليم الأصيل، وتناسى أصحابه ما قام به وما يقوم به هذا التعليم رغم المضايقات من دور في المجتمع المغربي»[3].

1- أشغال اليوم الدراسي الأول عن التعليم الابتدائي الأصيل. المحجة. العدد 194-195. يونيو 2003.

2- أشغال اليوم الدراسي عن مشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين. المحجة 124. 16 فبراير 2000.

3- المرجع نفسه.

أما الدكتور حميد فتاح فإنه يسجل ضمن ملاحظاته على الميثاق الوطني للتربية والتكوين تهميشه للتعليم الأصيل، والحديث عنه في سطور قليلة ضعيفة المبنى مشوشة المعنى[1].

لم تكن الإشارات الواردة بخصوص التعليم الأصيل في المادة 88 من الميثاق الوطني للتربية والتكوين لترضي الغيورين على هذا النوع من التعليم. لذلك تم تنظيم مجموعة من اللقاءات محاولة من هذه الجمعيات تدارك الموقف وإعادة الاعتبار، وإحلال الموقع المشرف للتعليم الأصيل ضمن المنظومة التعليمية الحالية.

ومما يمكن تسجيله من الإيجابيات على الميثاق بخصوص التعليم الأصيل، يذكر الدكتور محمد يسف ما نصه: «إن الميثاق الوطني للتربية والتكوين حاول أن يكون وفيا لميراث الأمة، فيما انتهى إليه من رصد لنبض الحياة فيها. وكان للتعليم الأصيل في بنوده نصيب مذكور، إن لم يكن في حجم الطموح، فهو غير مجحف من حيث إنه اعترف لهذا التعليم بحيز ذي بال، كما هو واضح في البند 88 منه، إذ جعله قسيما للتعليم العام، له بداية ونهاية من الكتاب إلى البكالوريا، لاشك أنه مكسب لا يسع العلماء إلا أن ينوهوا به»[2].

وتعبيرا عن الموقف الرسمي للوزارة الوصية تجاه التعليم الأصيل يصرح وزير التربية الوطنية والشباب السيد الحبيب المالكي قائلا: «إن

1- كلمة شعب الدراسات الإسلامية في اليوم الدراسي عن مشروع الميثاق. من تنظيم جمعية «قدماء التعليم الأصيل بفاس» المحجة. العدد 124. 16 فبراير 2000.

2- كلمة جمعيات العلماء بمناسبة أشغال اليوم الدراسي الأول للتعليم الابتدائي الأصيل. الذي نظمته وزارة التربية الوطنية بشراكة مع جمعيات العلماء بالمغرب. نشرته جريدة المحجة. العدد المزدوج 194-195 بتاريخ 9 يونيو 2003.

الميثاق الوطني للتربية والتكوين يجسد الاستمرار الفعلي للعناية الرسمية والشعبية بالمنظومة التربوية والتكوينية التي يمثلها التعليم الأصيل».

ويمضي السيد الوزير مبينا مكانته إذ يقول: «ويحدد الميثاق المكانة اللائقة لهذا التعليم ضمن دعامته الرابعة الخاصة بإعادة الهيكلة وتنظيم أطوار التربية والتكوين. بل يخصص له المادة 88 بصريح العبارة داعيا إلى تقويته وإغنائه وتطويره، وإيجاد جسور له مع مؤسسات التعليم العام. ونحن حريصون على ذلك أشد ما يكون الحرص، نواكب ما يرسمه الميثاق حول ما ينبغي للتعليم الأصيل أن يرتاده من آفاق وما ينبغي أن يحققه من غايات وأهداف»[1].

تباينت وجهات نظر الفاعلين التربويين حول موقع التعليم الأصيل في منظومة الميثاق الوطني للتربية والتكوين، بين منوه بمكانته وراض بمرتبته التي احتلها، ومتذمر مطالب بإعادة الاعتبار له وتفعيله مع محيطه كما كان الحال دائما وبروح سامية.

يقول الأستاذ محمد الرزكي:» ونحن إذا تأملنا في تموقع التعليم الأصيل خلال مجالات الميثاق يمكن أن نقول بأن تموقعه كان إيجابيا باعتبار، وسلبيا باعتبار آخر على وجه الإجمال:

- إيجابيا:

من حيث التنصيص عليه باسمه كما ورد في الدعامة أثناء المادة 24 مثلا، وفي الدعامة الرابعة في المادة 88 بكاملها، وفي مسألة الجسور بينه

1- كلمة وزير التربية الوطنية والشباب بمناسبة أشغال اليوم الدراسي الأول للتعليم الابتدائي الأصيل. جريدة المحجة. العدد 194-195. 2003.

وبين التعليم العصري في الثانوي بالسلك التأهيلي على مستوى السنة الثالثة، وفي العالي. وإن كان ينبغي أن تشمل كذلك السنتين قبلها والسلك الإعدادي والابتدائي في الهيكلة الجديدة لنظام التربية والتكوين».

بعدما عرض الأستاذ نقطا تحسب من مزايا هذا الإصلاح الجديد تطرق إلى الجوانب السلبية التي تكمن في الميثاق تجاه التعليم الأصيل حيث يقول:

- «وسلبيا:

حين يغفل كما حصل في المادة 71 حيث يقول: يتوخى التعليم الثانوي (الثانوي العام، والتقني، والمهني) وكأن التعليم الأصيل ليس عاما، ولا حظ له في التعليم التقني والمهني، والحال أنه يعاني من قلة الروافد، ليس لقلتها أو عدم رغبتها في متابعة الدراسة به، ولكن لعدم العناية بها العناية المطلوبة، ومع العلم بأنه يطالب بأن يدعم بشعب، ومنها شعبة اللغات حتى يتفاعل مع محيطه بإيجابية كما الحال دائما وبروح سامية»[1].

وتمتد ملاحظات الأستاذ حتى تشمل هيكلة التعليم الأصيل في مشروع الميثاق إذ يقول: «أما عن هيكلة التعليم الأصيل في المجال الثاني من الدعامة الرابعة تحت عنوان: التعليم الأصيل في المادة المشار إليها برقم 88 فإننا نلاحظ فيما تضمنته حتى في جانب الإيجابيات اضطرابا واضحا، ومرده على ما أظن إلى عدم فهم عناصر مدرستنا الإسلامية، وإغفالا لجوانب وقع التنصيص عليها في التعليم الآخر بنفس المجال،

1- الأستاذ محمد الرزكي. هيكلة التعليم الأصيل في مشروع الميثاق. جريدة المحجة. العدد124. السنة 2000.

والدعامة بالنسبة للتعليم الأولي والابتدائي والإعدادي والثانوي والعالي، وكلها تهم التعليم الأصيل، إذ ما يجري على المثل يجري على المماثل كما يقال».

«ونلاحظ ثالثا خلطا فيما نعرف أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تقوم به من تكوين القيمين الدينيين، ودون أن يكون هناك تنسيق بينها وبين وزارة التربية الوطنية».

وثمة ملاحظة أخرى يسجلها على البند الرابع من المادة 88 الذي يقول: «تمد جسور بين الجامعات المغربية ومؤسسات التعليم العالي الأصيل وشعب التعليم الجامعي ذات الصلة على أساس التنسيق والشراكة بين تلك المؤسسات والجامعات» حيث يذكر ما نصه: «نلاحظ أن جامعة القرويين بكلياتها الثلاث في الشريعة وأصول الدين واللغة العربية [ودار الحديث الحسنية] والتي هي أم الجامعات المغربية إن لم تكن أم جامعات الدنيا تصبح مؤسسات. كما أن المدارس الابتدائية والإعدادية ومآوي الأطفال مؤسسات»[1].

وهكذا يبرز الموقع الذي يحتله التعليم الأصيل ضمن الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وكذا المواقف المختلفة لمختلف الفاعلين التربويين والعلماء تجاه المكانة التي تبوأها الميثاق.

1- محمد الرزكي. هيكلة التعليم الأصيل. جريدة المحجة. العدد 124. السنة 2000.

المبحث الثاني: التعليم الأصيل كما جسده الكتاب الأبيض

يمثل التعليم الأصيل في المنظومة التعليمية والتربوية مظهرا من مظاهر التشبت بالهوية الإسلامية والحضارية للمغرب، وتشكل المواد الإسلامية واللغوية نواته المركزية، مما يجعل منه نمطا تعليميا خاصا في هيكلته وتنظيمه التربوي.

يعتبر «الكتاب الأبيض» عملية مراجعة المناهج التربوية فرصة حقيقية لتجديد التعليم الأصيل تنظيميا وبيداغوجيا:

- تنظيميا:

بإدراجه ضمن النظام التربوي وإخضاعه من حيث الهيكلة ونظام الدراسة لقواعد النظام التربوي باعتباره مكونا من مكونات المنظومة التربوية، وجعله قطبا يضاهي ويكمل الأقطاب الأخرى من حيث الأدوار والوظائف والأهداف.

- بيداغوجيا:

ببناء المناهج الدراسية في التعليم الأصيل استنادا إلى المبادئ التي تتأسس عليها عملية مراجعة البرامج والمناهج، وهي المبادئ التي وردت في التوجهات العامة، وفي الوثيقة الصادرة عن اللجنة البيسلكية[1].

1- لجنة وظيفية أحدثتها مديرية الاستراتيجيات التربوية بوزارة التربية الوطنية والشباب لمراجعة البرامج والمناهج. وهي لجنة متعددة التخصصات وتشتغل على مناهج جميع الأسلاك التعليمية، وقد أنهت أشغالها بإصدار الكتاب الأبيض الذي يتكون من 13 مجلدا في أزيد من 1930 صفحة من القطع الكبير. وتتكون من 550 خبيرا وطنيا ولجنا متخصصة في كل مادة.

وفي هذا السياق يعتبر قطب التعليم الأصيل هيكلة جديدة للتعليم الثانوي الأصيل، ويتكون من ثلاث شعب:

- شعبة اللغة العربية

- شعبة العلوم الشرعية.

- شعبة التوثيق والمكتبة[1].

ينتقد الأستاذ عبد المجيد بن مسعود وهو من داخل منظومة التربية والتكوين – مفتش معتمد لدى أكاديمية وجدة – الوضع الجديد الذي وجد فيه التعليم الأصيل إذ يتحدث قائلا:»والحقيقة أن ما خضع له التعليم الأصيل في ظل هذا التغيير الجديد، ليس إدراجا له في النظام التربوي على الوجه الصحيح، لأنه ما يزال في وضعيته القديمة المتمثلة في حرمانه من روافد سليمة تغذيه وتحفظ له قوته واستمراريته وازدهاره على مستوى السلك الابتدائي والإعدادي»[2].

وعن إزالة وعدم إدراج شعبة العلوم التجريبية الأصيلة ضمن التعليم الأصيل يقول بن مسعود:»ومن المستجدات في تنظيم هذا القطب (قطب التعليم الأصيل)، عدم إدراج شعبة العلوم التجريبية الأصيلة نظرا لانعدام ما يبرر استمرار هذه الشعبة بعد تعريب المواد

1- الكتاب الأبيض. لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي والإعدادي والتأهيلي. رمضان 1422. نونبر 2001. ص55.

2- عبد المجيد بن مسعود. الكتاب الأبيض والبياض المفقود: تعدد في المرجعية وتناقض في الأهداف. منشورات المجلس العلمي الإقليمي بوجدة، سلسلة رقم 8 السنة 2003. ص47.

العلمية بالتعليم الثانوي العام من جهة، ولقلة الإقبال عليها من جهة أخرى.

والواقع أن تبرير حذف شعبة العلوم التجريبية الأصيلة بتعريب المواد العلمية بالتعليم الثانوي العام، يظل مجرد تبرير لا معنى له، لأن ما كان يميز الشعبة المحذوفة ليس اللغة فقط، وإنما طبيعة مواد التكوين، بل إن هناك مسوغا إضافيا يتمثل في غياب الروح الإسلامية من التعليم العام، ومن ثم فإن الحاجة إلى مثل هذه الشعبة تظل قائمة لتخريج فئة ممتازة من العلماء المتشبعين بالثقافة الشرعية والوعي الحضاري العميق، والذي يصلون الحاضر بالماضي التليد الذي أنجب أمثال الفارابي وابن رشد وجابر بن حيان وابن الهيثم وابن النفيس وغيرهم من العلماء الأفذاذ. ولكن هذا الهدف يظل تحقيقه رهينا بتوفير شروطه على مستوى صيرورة التعليم بمد جسور التعريب إلى التعليم العالي، وبتعريب الحياة العامة بجميع مناشطها ومجالاتها، وهي شروط تشكل المجال الحيوي للمنظومة التعليمية برمتها، ولحياة الأمة على حد سواء»[1].

ومما يؤاخذ على الكتاب الأبيض في مجال القيم والمقاييس الاجتماعية نزوعه نحو التجزيء وعدم الشمولية، وإلى هذا أشار الأستاذ عبد المجيد بن مسعود حين قال: «إن الكتاب الأبيض يميز بين قيم متوخاة في تلاميذ قطب أو أقطاب بعينها دون غيرهم، فقد ورد في سياق جرد المواصفات المرتبطة بالقيم والمقاييس الاجتماعية في قطب التعليم الأصيل، «جعل المتعلم متشبعا بقيم الدين الإسلامي، ومعتزا بهويته

1- المرجع نفسه. ص48-49.

الدينية والوطنية، محافظا على تراثه الحضاري، ومحصنا ضد كل أنواع الاستلاب الفكري، متمسكا بالسلوك الإسلامي القويم، والمثل العليا المستمدة من روح الدين الإسلامي»[1].

فإذا كانت هذه المواصفات – يقول الأستاذ ابن مسعود – من الدقة بمكان، فإننا لا نظفر ولو بجزء منها عندما يتعلق الأمر بالأقطاب الأخرى.

فهل هناك من مسوغ تربوي لهذه النزعة التبعيضية؟ ولهذا الفصام على مستوى المنظومة التربوية الواحدة التي تستهدف جيلا واحدا من شعب واحد وأمة واحدة؟

يقر الأستاذ عبد المجيد بن مسعود بأننا إزاء ازدواجية واضحة في الخطاب، تتمظهر أول ما تتمظهر على مستوى الألفاظ والمصطلحات المستعملة. فشتان بين «التشبث بقيم الدين الإسلامي» وبين «ترسيخ الهوية المغربية الحضارية» أو حتى «قيم العقيدة الإسلامية السمحة»[2].

وعلى مستوى البرامج والمناهج، فقد أثارت البرامج الجديدة في التعليم الأصيل عدة ملاحظات نبه عليها المختصون بالشأن التعليمي عموما وبالتعليم الأصيل على الخصوص، من وجود ارتباك، وخلو بنائها واختيار مفرداتها بدون نسق علمي ومنهجي فضلا عن وجود خلل في كثير من المصطلحات المستعملة في التعبير عن بعض المواضيع.

1- الكتاب الأبيض. ص55.
2- عبد المجيد بن مسعود. المرجع السابق. ص21.

وللوقوف على ذلك بشكل ملموس، يجدر بنا أن نستعرض مفردات بعض هذه البرامج، ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر نموذج شعبة العلوم الشرعية:

1 - التفسير والحديث:

- خصوصيات القرآن الكريم – الإعجاز وأوجهه.
- أشهر مصادر السنة ومناهج مصنفيها.
- روابط المجتمع الإسلامي.
- الحديث بين القبول والرد.
- التصنيف الإسلامي للقيم.
- الاعتدال والتسامح في الإسلام.
- العلاقة بين الإنسان والكون – علاقة تسخير.
- أسس تحقيق العدل في الإسلام.
- الأمن الصحي والاجتماعي في الإسلام
- اقتضاء العلم العمل

2 - الفقه والأصول:

- أسباب تفكيك الأسرة والحفاظ على حقوق الزوجة والأبناء
- الحكم التكليفي وأقسامه
- تنظيم المعاملات في الفقه الإسلامي

- أقسام الحكم الوضعي

- أحكام الورثة وما يتعلق بهم

- حماية الورثة وما يتعلق بهم.

- حماية الحقوق.

- تنظيم المعاملات في الإسلام.

- طرق استنباط الأحكام من النصوص

- مسائل متعلقة بالإرث.

- من القواعد الأصولية[1].

مأخذان اثنان يسجلهما الأستاذ عبد المجيد بن مسعود على مشاريع البرامج الجديدة لمواد شعبة العلوم الشرعية.

يتجلى المأخذ الأول على هذه المشاريع خلطها بين مفردات علمين يستقل كل منهما بكيانه الخاص: علم التفسير وعلم مصطلح الحديث. وإذا كان الأمر يتعلق بنصوص حديثية فالدقة تقتضي النص على ذلك بوضوح، ونفس الأمر ينطبق على علم الفقه وعلم أصول الفقه.

أما المأخذ الثاني فيتمثل في كونه أننا لا ندري وجه العلاقة التي تربط بين بعض المفردات وبين أحد العلمين الذي أدرجت تحته، مثل روابط المجتمع الإسلامي، التصنيف الإسلامي للقيم، الاعتدال والتسامح في الإسلام... إلى آخر مفردات البرنامج. وينسحب نفس الحكم على مفردات

1- الكتاب الأبيض. لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية. مشاريع البرامج الجديدة لمواد شعبة العلوم الشرعية. ص67-68.

الفقه والأصول. فما علاقة موضوع «حماية الحقوق» بأي من العلمين؟ خاصة وأنه غفلا من أي صفة.

أما على صعيد الاصطلاح والصياغة لمفردات البرنامج، فإننا – يقول ابن مسعود – نسجل مثلا الخروج عن الاصطلاح العلمي الذي ظل محفوظا لدى علماء المصطلح. فعبارة «الحديث بين القبول والرد « غير مألوفة، ومن ثم فليست مقبولة، وما هو متعارف عليه علميا هي ألفاظ «الصحيح والحسن والضعيف والموضوع»[1].

بعد عرض بعض مفردات برنامج شعبة العلوم الشرعية والمآخذ التي سجلت عليها نود إحصاء كل من المواد الدراسية، والكتب والمؤلفات التي عملت الوزارة على إصدارها متجاوزة في ذلك المراحل التاريخية التي مر بها التعليم الأصيل بدون مؤلفات وكتب مدرسية.

فبالنسبة للمشاريع، نأخذ على سبيل النموذج والتمثيل، مشاريع البرامج الجديدة لمواد الجذع المشترك للتعليم الأصيل، وهي كالتالي:

1 - التفسير والحديث
2 - الفقه والأصول
3 - النصوص الأدبية
4 - علوم اللغة العربية
5 - علوم البلاغة
6 - مادة التوثيق

1- عبد المجيد بن مسعود. الكتاب الأبيض والبياض المفقود. ص50-51.

7 - التاريخ والجغرافيا

8 - الرياضيات

9 - علوم الحياة والأرض

10 - العلوم الفيزيائية

11 - الفلسفة

12 - اللغة الأجنبية الأولى

13 - اللغة الأجنبية الثانية

14 - التربية البدنية[1]

توجد مجموع هذه المواد ضمن 17 مجزوءة، تستغرق مدة زمنية تقارب 510 ساعة[2].

وبخصوص المؤلفات والكتب المدرسية فقد تم إصدار مجموعة من المؤلفات تغطي مختلف مراحل التعليم الأصيل من التعليم الأساسي بسنواته التسع إلى التعليم الثانوي بسنواته الثلاث، وفيما يلي جرد لأهم عناوين الكتب المقررة:

1 - التربية الإسلامية:

- دروس في البلاغة

- دروس في الفقه

1- الكتاب الأبيض. ص56-57.

2- المرجع نفسه. ص58.

- كتاب في الأخلاق
- النحو والصرف والتطبيقات
- دروس في مصطلحات الحديث
- النصوص الأدبية
- دروس في الأصول
- دروس في الحديث
- دروس في علوم القرآن
- دروس في التفسير
- دروس في التوحيد

2 - الفكر الإسلامي والفلسفة

3 - اللغة العربية

4 - التاريخ والجغرافيا

5 - العلوم الطبيعية

6 - العلوم الفيزيائية: الفيزياء – الكيمياء

7 - الرياضيات

الرياضيات (التحليل) – الرياضيات (الهندسة) – الرياضيات (الجبر، الهندسة).

8 - الوثائق المدرسية:

دفتر النصوص – الدفتر المدرسي – السجل العام للتلاميذ – الملف المدرسي.

9 - كتب باللغات الأجنبية[1].

1- نقلا عن موقع الوزارة (وزارة التربية الوطنية والشباب) على الأنترنيت. http:// ww.men.gov.ma

الفصل الثالث:
سبل الإصلاح والنهوض بالتعليم

ويضم تمهيدا ومبحثين:

- تمهيد
- المبحث الأول: اقتراحات لأجل النهوض بالتعليم الأصيل
- المبحث الثاني: عوامل التمكين للتعليم الأصيل

تمهيـــد:

إن الدعوة إلى إصلاح التعليم الأصيل وتجديد برامج ومناهج جامعة القرويين بكل روافدها لم تكن فكرة جديدة أفرزتها مرحلة ما بعد استقلال المغرب، وإنما أخذت إرهاصات النهوض بهذا النوع من التعليم قبل ذلك بكثير. وفي هذا الصدد يذكر الأستاذ محمد الأمين الدرقاوي ما نصه: «ويغلب على الظن أن المطالبة بالإصلاح كان الهدف منها خلق مصاعب في وجه الاستعمار من ناحية، ومحاولة النهوض بالقرويين إلى مصاف الجامعات الراقية من ناحية أخرى»[1].

حظي موضوع إصلاح وتجديد التعليم الأصيل، وتأهيل جامعة القرويين باهتمام العديد من العلماء والمهتمين بالشأن التربوي والتعليمي، حيث أقيمت العديد من الأيام الدراسية والندوات حول التعليم الأصيل وإحلاله المكانة اللائقة به، كان آخرها اليوم الدراسي الوطني الخاص بالتعليم الأصيل الذي احتضنته ثانوية القرويين بفاس، وحضره ثلة من العلماء ممن استنفروا جهودهم وطاقاتهم لتجديد مسيرة التعليم الأصيل، بالإضافة إلى طاقم من المسؤولين عن التعليم الأصيل، ومديرية المناهج يتقدمهم السيد وزير التربية الوطنية الحبيب المالكي.

يصف الأستاذ خالد الصمدي أشغال هذا اليوم وما تم الاتفاق عليه والخروج به من توصيات قائلا: «اتفقت كل الكلمات الافتتاحية والختامية والتوصيات الصادرة عن الملتقى على أهمية التعليم الأصيل

1- محمد الأمين الدرقاوي. تأملات وآراء حول التعليم الأصيل بالمغرب. مطبعة الأمنية. الرباط. 1975. ص29.

ودوره في حماية الخصوصيات الحضارية للمغرب، وإشعاعه الفكري والعلمي نحو أوروبا وإفريقيا عبر التاريخ.

وبرزت – على الأقل من الناحية النظرية – نيات صادقة تدعو إلى ضرورة إيلاء هذا النسق من التعليم مكانة تليق بتاريخه ودوره الحضاري من خلال دعم برامجه ومناهجه وتطوير طرق ووسائل تدريسه وإصلاح فضاء تعلمه، وتجديد العدة التربوية والتعليمية لمدرسيه، والعناية بكتابه المدرسي، وفتح الجسور بينه وبين مختلف الشعب والأقطاب في التعليم العامي من جهة، وبين التعليم العتيق لفك العزلة عنه واستيعاب رواده من جهة ثانية، كل ذلك في تفعيل تام لمقتضيات الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي يعتبر التزاما وتعاقدا رسميا يؤطر إصلاح المنظومة التربوية»[1].

تم التطرق في هذا اليوم الوطني إلى بعض الآفاق التي يجب أن يطالها الإصلاح والدعم، وسأتعرض في هذا الفصل إلى سبل النهوض ووسائل تجديد هذا التعليم الوطني الذي طالما نادى الغيورون عليه بضرورة إصلاحه وإعادة تأهيله لمسايرة ما استجد في واقع الناس وحياتهم. وذلك عبر مبحثين رئيسيين، حيث سأخصص المبحث الأول للحديث عن مجموعة من الاقتراحات للنهوض بالتعليم الأصيل، بينما المبحث الثاني: سأتولى فيه الحديث عن عوامل التمكين لهذا النوع من التعليم.

1- خالد الصمدي. التعليم الأصيل في مفترق الطرق. جريدة التجديد «المغربية». العدد 912. الأربعاء 21 أبريل 2004.

المبحث الأول: اقتراحات لأجل النهوض بالتعليم الأصيل

اضطلع التعليم الأصيل بأدوار هامة في المحافظة على الشخصية المغربية، وعلى القيم الروحية والثقافية والأعراف الأصلية للأمة.

وقد هدف إلى تكوين وإعداد الأطر الكفأة في الدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية بهدف الدعوة إلى رسالة الإسلام وتعاليمه ورد الشبهات ومواجهة التيارات المعادية والهادمة لدين الأمة الإسلامية.

هذه الأهداف والأدوار حال دون استمرارها وتجددها التهميش الذي تعرض له التعليم الأصيل وخريجوه منذ وقت ليس بالقصير. لذا وجب الاهتمام به ومحاولة تجديده لمواصلة أدواره التاريخية التي لعبها من قبل، والمؤمل أن تكون أحسن وأفيد في المستقبل.

إن إعادة الاعتبار إلى التعليم الأصيل – كما يذكر الدكتور محمد جميل – يحتاج إلى جهود كثيرة، وإلى نضال متعدد الواجهات[1].

ست واجهات أساسية يذكرها الأستاذ جميل، يراها ضرورية لإعادة الأدوار الحقيقية للتعليم الأصيل، ولنمض الآن في عرضها كما تصورها الأستاذ جميل:

1- محمد جميل. حوار أجرته معه جريدة المحجة المغربية. العدد 124. 16 فبراير 2000.

الواجهة الأولى هي الواجهة التقنينية التنظيمية:

التعليم الأصيل يحتاج إلى نصوص تنظمه من أول مراحله إلى آخرها، وفي هذا الصدد أوصت «لجنة التعليم الأصيل» بإصدار مذكرات تنظيمية تضبط سيره التربوي والإداري[1].

وهنا – يقول الدكتور محمد جميل – لابد من إعادة النظر في الحديث الخاص عن التعليم الأصيل في مشروع الميثاق الوطني الذي خصص مادة واحدة من مواد المشروع إلى 177 للتعليم الأصيل. وصيغت المادة بعبارات مقتضبة غامضة جعلت الحديث عن التعليم الأصيل نشازا في ركام طويل للحديث عن التعليم بصفة عامة.

الواجهة الثانية هي الواجهة الدراسية التحليلية

أي واجهة استعراض المشاكل التي يتخبط فيها التعليم الأصيل عن طريق مجموعة من الوسائل الفعالة، منها: اللقاءات والندوات والأيام الدراسية والمقالات المنشورة والكتابات التربوية الهادفة، لأن مثل هذه الدراسات هي التي تكشف عيوب المناهج التربوية المطبقة في التعليم الأصيل حتى اليوم، وهي الكفيلة بإعادة النظر في هذه المناهج على ضوء تقويم الحصيلة العامة لهذه المرحلة الماضية، وبناء على هذا التقويم يتم إعادة الاعتبار إلى التعليم الأصيل.

1- عن التقرير الصادر عن لجنة التعليم الأصيل المنبثقة عن المؤتمر الوطني الأول للجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية المنعقد بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان. أيام 29-30-31 مارس 1997.

وإلى هذا الرأي أشار الدكتور محمد يعقوبي خبيزة حين قال: «إننا نرى الإصلاح التفصيلي للتعليم الأصيل وبجامعة القرويين إصلاحا يتلاءم مع ما له من أهمية وخطورة في حياة الأمة يقتضي عقد مناظرة وطنية تحت إشراف المجلس العلمي الأعلى يحضرها العلماء والفعاليات المتخصصة لوضع استراتيجية رصينة تبلور ما لهذا التعليم من أهداف سامية، ووظائف مهمة ووسائل تكوينية متميزة، وعوامل مدعمة، ووسائل تعليمية، وكتب مدرسية، ومصادر ومراجع جامعية، وطرق بيداغوجية، وشهادات علمية، وآفاق عملية، وموارد بشرية ومادية... وذلك حتى يتم إصلاح هذا النوع من التعليم إصلاحا حقيقيا جامعا بين الأصالة والمعاصرة في توازن تام لا يطغى فيه المادي على المعنوي، ولا الدخيل على الأصيل»[1].

الواجهة الثالثة هي الواجهة السياسية

وهي واجهة التعريف بأزمة التعليم الأصيل لدى الشخصيات الفاعلة في المجتمع المغربي التي ربما لا تحيط علما بالأخطار التي قد تلحق بالتعليم الأصيل بل قد لا تعرف أي شيء عن التعليم الأصيل بالمرة، فأغلب البرلمانيين والمستشارين وأعضاء الحكومة لا يعرفون قيمة التعليم الأصيل ولا أهمية المواد الشرعية في حماية أطفالهم من غول الانحراف الذي يلتهمهم في كل حين، كما لا يعرفون المشاكل التي يتخبط فيها التعليم الأصيل ومدى مساهمته في الحضارة الإسلامية.

1- محمد يعقوبي خبيزة. التعليم الأصيل وجامعة القرويين. مجلة دعوة الحق. العدد365. مارس 2002 ص99.

الواجهة الرابعة هي الواجهة الشعبية

فلا بد أن يفسر للناس مدى أهمة التعليم الأصيل في حماية أبنائهم وبناتهم، وأن هذا التعليم كفيل بربط الأجيال بدينهم، وكفيل بتعريفهم بالقيم الدينية والخلقية والوطنية التي نرددها اليوم دون أن يكون لها معنى حقيقي يذكر على أرض الواقع.

وفي هذا المضمار أوصت لجنة التعليم الأصيل بأن يحظى التوجيه إلى مختلف شعب التعليم الأصيل بالإعلام الكافي في مؤسسات التعليم الأساسي حتى يتعرف الآباء والتلاميذ على مزاياه، والآفاق التي يفتحها أمامهم، ويقبلوا عليه عن اقتناع ورغبة[1].

الواجهة الخامسة هي الواجهة الوظيفية

فلابد أن تفتح مجالات وظيفية متعددة لخريجي التعليم الأصيل تأهلهم دراستهم وتخصصهم لدخولها كالقضاء، والمحاماة، والتوثيق...

والنتائج التي حققها رجال التعليم الأصيل على هذه المستويات تؤكد قدرتهم على المسايرة والعطاء في تفان وحب لمهنتهم. ونتائجهم المرضية منذ الاستقلال إلى اليوم تؤكد هذه الحقيقة، وإن كانت النتائج تراجعت بتراجع التعليم الأصيل في نظرة المجتمع اليوم.

الواجهة السادسة هي الواجهة التكوينية

بحيث ينتقى التلاميذ الذين يلتحقون بالتعليم الأصيل انتقاء مبنيا على معايير علمية خاصة، وينتقى المدرسون الذين يدرسون في شعب التعليم الأصيل انتقاء مبنيا على معايير علمية وتربوية خاصة كذلك.

1- التقرير الصادر عن لجنة التعليم الأصيل. 1997.

وبهذا الخصوص اشترطت لجنة التعليم الأصيل على الملتحق بمؤسسات التعليم الأصيل التفوق في مادتي التربية الإسلامية واللغة العربية باعتبارهما مواد رئيسية في هذا النوع من التعليم[1].

لم ينل اعتبار حفظ القرآن الكريم المكانة اللائقة به عند الالتحاق بمؤسسات التعليم الأصيل، وإنما اقتصر الأمر على اللغة العربية بضبط بعض قواعدها وحفظ بعض المتون الفقهية، كما يبدو من الشروط التي اقترحتها لجنة التعليم الأصيل.

بعد ذكره لهذه الملاحظات والواجهات الست التي يجب أن ينصب عليها الاهتمام للنهوض بالتعليم الأصيل، يستدرك الدكتور محمد جميل ويشترط تحقق أمرين اثنين:

الأمر الأول: وهو أن ينطلق الجميع من حسن نية، ومن الإيمان بمدى أهمية هذا التعليم في حياة الأمة.

الأمر الثاني: هو الانطلاق في تنفيذ مشاريع إصلاحية في مجال التعليم الأصيل[2].

1- لجنة التعليم الأصيل. التقرير الصادر عن أشغال المؤتمر الوطني الأول للجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية. المدرسة العليا للأساتذة. تطوان. مرتيل. مارس 1997.

2- حوار أجرته جريدة المحجة مع الدكتور محمد جميل على هامش اليوم الدراسي الخاص بميثاق التعليم. العدد 124. 16 فبراير 2000.

المبحث الثاني: عوامل التمكين للتعليم الأصيل

أثار موضوع إصلاح التعليم الأصيل اهتمام العديد من العلماء وخريجي جامعة القرويين أذكر من بينهم: العلامة عبد الله كنون، والشيخ محمد المكي الناصري، والشيخ التهامي الوزاني... وغيرهم من المعاصرين ممن له الغيرة على هذا التعليم الوطني والإشفاق على الواقع الذي يعيشه ضمن المنظومة التعليمية والتربوية الجديدة.

ومن أجل استشراف إصلاح التعليم الأصيل والنهوض به والتمكين من الوصول إلى أهدافه وتحقيق وظائفه تأتي هذه المقترحات، والتي سأعرضها كما يلي:

1 - ضرورة إمداد «التعليم الأصيل» بالمنشآت المتوفرة على المواصفات المطلوبة والتجهيزات اللازمة المساعدة على أداء رسالته التربوية في أحسن الظروف الملائمة مع توفير الداخليات الكافية، والمطاعم المدرسية.

وبهذا الخصوص أوصت لجنة التعليم الأصيل بمجموعة توصيات تتعلق بمؤسسات التعليم الأصيل منها:

- إرجاع المؤسسات والداخليات الأصيلة التي تم تفويتها إلى جهات أخرى إلى حظيرة التعليم الأصيل من أجل استغلالها لصالح تلاميذه.

- منح حق الإيواء لتلاميذ الطور الأساسي والثانوي بداخليات التعليم الأصيل من أجل تنشيط روافده وتشجيع الإقبال عليه.

- إحياء دور الوقف الإسلامي لاستيعاب تلاميذ التعليم الأصيل المعوزين بتنسيق بين وزارة التربية الوطنية ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية[1].

2 - اختيار المدرسين والإداريين الأكفاء الذين تتوفر فيهم المؤهلات العلمية والإدارية والسلوكية... والإيمان برسالة هذا التعليم ودوره الديني والتربوي والوطني، حتى يكونوا خير عون له في إنجاز مهامه السامية، كما يجب أن يخضع أطره للتكوين المستمر، ولإجراء دورات تدريبية لمواكبة المستجدات وأداء المهمة المنوطة بهم على أحسن وجه.

3 - تأمين الطمأنينة وتوفير الاستقرار لخريجي التعليم الأصيل بفتح آفاق المستقبل أمامهم، ومد المحتاجين منهم بالمنح الكفيلة بمساعدتهم على متابعة دراستهم العليا.

4 - تشجيع البحث العلمي بهذا التعليم بما يكشف عن مواهب أصحابه وتفتحها، ويدفع بهم إلى توظيفها في مختلف مجالات البحث والإبداع والتنمية.

5 - إحداث مدارس نظامية للتعليم الأصيل من المدرسة الأولية إلى التعليم الثانوي ثم التعليم الجامعي المختص، كما هو منصوص عليه في الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

ويقترح الأستاذ خبيزة في هذا الصدد أن تحدث مؤسسات للتعليم العالي الأصيل في المدن والأقاليم ذات الكثافة السكانية، وحيث يكثر

1- لجنة التعليم الأصيل. 1997.

حفاظ القرآن الكريم مثل الدار البيضاء وطنجة وتطوان ووجدة والعيون... وغيرها[1].

6- إحداث شعبة «الدراسات الإسلامية» ضمن شعب التعليم التأهيلي بالتعليم الثانوي تمكن روادها من متابعة دراستهم التخصصية بالتعليم الجامعي سواء بجامعة القرويين أو شعب الدراسات الإسلامية.

7- ضرورة إحداث فروع جامعية تضم جميع الكليات التابعة لجامعة القرويين في مختلف جهات المملكة، وذلك حسب الحاجة، وما يتوفر من إمكانيات مادية وعلمية.

8- جعل التعليم الأصيل في خدمة التعليم العام – حسب يعقوبي خبيزة – وذلك عبر:

- الحرص على جعل اللغة العربية لغة التعليم في جميع المراحل ومختلف التخصصات، باعتبارها لغة وطنية حية قادرة على استيعاب العلوم والمعارف الأصلية والعصرية، وتكوين الأطر القادرة على التعبير بها، وإعادة تكوين الأطر التي لا تتقنها.

- دعم المواد الإسلامية في برامج التعليم العام برفع حصتها ومعاملها وجعلها في خانة المواد المهمة باعتبار أن المعامل معيار من معايير التوجيه وعناية التلميذ بما ارتفع معامله من المواد الدراسية.

1- محمد يعقوبي خبيزة. وقفة مع إصلاح التعليم الأصيل وجامعة القرويين في مشروع ميثاق التربية والتكوين. جريدة التجديد. عدد خاص بالميثاق الوطني للتربية والتكوين. 28 شتنبر 2000.

- إضفاء الطابع الإسلامي على جميع المواد الدراسية اسما ومنهاجا ومقررات وطريقة تدريس، واستبعاد كل ما يتنافى مع قيم ديننا الإسلامي الحنيف... وذلك تفعيلا للمبادئ الأساسية والمرتكزات الكبرى التي ينص عليها الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

- إدراج المادة الإسلامية – تربية أو فكر أو حضارة إسلامية أو سيرة نبوية...- ضمن مناهج التعليم في مختلف مستوياته وجميع شعبه... بما فيها شعب العلوم والشعب التقنية... قصد جعل الثقافة الإسلامية قاسما مشتركا بين جميع أفراد الأمة وعاملا قويا في تحقيق ما بينهم من وحدة، وتحصينهم من مخاطر التطرف والانحراف والانشقاق والفرقة...[1]

9 - جعل التعليم في خدمة محيطه الاقتصادي والاجتماعي عن طريق تمكين المتخرجين منه من ممارسة مختلف الوظائف المنسجمة مع ثقافتهم وتخصصاتهم كالتدريس للمواد اللغوية والشرعية والقانونية، وتولي القضاء والمحاماة والتوثيق والعدالة، وكذا ممارسة أعمال رجال السلطة، والتوظيف في المؤسسات المالية وإدارات التسجيل والمحافظة العقارية... والقيام بمهام الوعظ والإرشاد وخطبة العيدين والجمعة... وتولي مختلف المناصب التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية... إلى غير ذلك من الوظائف والمهام التي تجعل هذا التعليم

1- نفس الجريدة. عدد خاص 28 شتنبر 2000.

مساهما مساهمة فعالة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للأمة.

10 - المعادلة ومد الجسور بين مختلف مستويات التعليم العتيق – الذي تشرف عليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – وبين شهادات ومستويات التعليم الأصيل، وخاصة بين شهادة العالمية وشهادة الإجازة ما دام كلا هذين التعليمين يقومان على ثقافة شرعية متجانسة وواحدة في مكوناتها الأساسية... وذلك حتى يستفيد خريجو كل من التعليمين بما يتمتع به خريجو التعليم العام من حقوق في مختلف المجالات العلمية والعملية والوظيفية.

إنه لتحقيق هذه الطموحات ومحاولة الاقتناع بمثل هذه التطلعات يفرض – حسب خبيزة – ضرورة إعادة النظر في المناهج التربوية والتعليمية للتعليم الأصيل وبجامعة القرويين على أساس التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وبين عراقة الحضارة المغربية الإسلامية وما تنطوي عليه من قيم إنسانية... وبين مطالب تقدم العصر وما ينطوي عليه من مواكبة لما يعرفه العالم من تفجر معرفي وثورة علمية... مع التأكيد دائما على الأصالة وما تختزنه من طاقات لمواكبة جميع أنواع التحديات المعاصرة، وذلك بتكوين علماء ومثقفين لهم من الأصالة ما يستطيعون به فهم أصول الإسلام وتفهيمها، ومن المعاصرة ما يستطيعون به مواجهة التيارات الفكرية العالمية بمستوى علمي رفيع، وبكامل الوعي والمسؤولية، ونظرة حضارية مواكبة لمستجدات العصر.

وبذلك يكون خريج جامعة القرويين ذلكم العالم المسلم الذي يستطيع حقا أن يقوم برسالته الدينية والعلمية والثقافية خير قيام، وأن يواجه العولمة وتحدياتها التي تحاول فرض سيطرتها على العالم أجمع في الاقتصاد والسياسة والحضارة والقيم... [1].

1- الدكتور محمد يعقوبي خبيزة. التعليم الأصيل وجامعة القرويين في مواجهة تحديات العصر الحديث. مجلة دعوة الحق المغربية. العدد 365. مارس 2002. ص99 بتصرف.

نتائج البحث:

بناء على ما مر ذكره في ثنايا هذا البحث، فإنه يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج، نذكر منها:

1- مجابهة التعليم الأصيل لخطط الاستعمار الرامية إلى عزل الأمة الإسلامية وإبعادها عن هويتها وحضارتها الإسلامية.

2- تخريج التعليم الأصيل لخيرة العلماء والمثقفين من صفوف معاهده وحلقات دروسه في مختلف التخصصات والمجالات أمثال العلامة عبد الله كنون، والشيخ التهامي الوزاني، والشيخ محمد المختار السوسي، وغيرهم كثير ممن تفتخر الأمة بهم.

3- استفادة الأجانب والمستشرقين من حلقات التعليم الأصيل بجامعة القرويين.

4- حمل علماء وخريجي التعليم الأصيل لهموم الأمة الإسلامية بكل من إفريقيا والأندلس.

5- اتسام بعض مراحل التعليم الأصيل بالازدهار، وكثير منها بالتهميش، وعدم اعتبار خريجيه عبر الإدماج والتأهيل في المجتمع.

6- محاولة أنصار التعليم العصري إبقاء التعليم الأصيل على جموده وعتاقة طرقه وأساليبه، وعدم التمكين له في الإندماج على الانفتاح على مختلف المستجدات العلمية والتكنولوجية.

7- غياب روافد التعليم الأصيل من مؤسسات ابتدائية تأوي التلاميذ الوافدين من البوادي، والاقتصار على إمداده بالتلاميذ الفاشلين في التعليم العصري والمطرودين منه.

8- بروز نوع من الوعي بالأزمة التي يتخبط فيها التعليم الأصيل والنقص الذي يطال كلا من:

- المؤسسات التي تحتضنه

- المؤلفات والكتب المدرسية

- الوسائل التعليمية (وسائل الإيضاح، الوسائل السمعية البصرية...)

- المذكرات الوزارية والتربوية.

- المنح الدراسية للمتعلمين، وخاصة الوافدين منهم من البوادي.

- المدرسين والمستشرقين التربويين...

9- بزوغ مجموعة من العلماء والغيورين على التعليم الأصيل ومستقبله، تدعو إلى إعادة الاعتبار له وصبغه بالصبغة الوطنية، وإحلاله المكانة اللائقة به باعتباره قسيما للتعليم العصري، أمثال: الدكتور محمد يسف، والدكتور محمد يعقوبي خبيزة، والدكتور محمد جميل مبارك، والأستاذ محمد الرزكي، وغيرهم من ذوي الفضل في ترسيخه وإصلاحه وتجديده.

وفيما يخص مجموعة من المقترحات، فقد تم إصدار توصيات من المؤتمر الوطني الأول للجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية تهم التعليم الأصيل في كل مناحيه:

توصيات لإحياء روافده:

- أن توجه الخريطة المدرسية إلى أقسام التعليم الأصيل نسبة من التلاميذ الناجحين في امتحان نهاية الطورين الأساسيين، بدل المفصولين والفاشلين.

- إصدار مذكرة وزارية تنظيمية تحدد مسطرة التوجيه إلى أسلاك التعليم الأصيل حتى لا يبقى هذا التوجيه خاضعا لاعتبارات تضر به، وباستمرارية في أداء رسالته.

- إعادة فتح روافده الأساسية أمام حفظة القرآن الكريم – كما كان عليه من قبل – لما يتميزون به من رغبة في التعليم، وانضباط في السلوك، وقدرة على استيعاب مقررات التعليم الأصيل، على أن يرخص لهم في السن إلى حدود ست عشرة سنة على الأكثر، وأن يسمح لهم باجتياز امتحانات الالتحاق بالسلك المناسب لمستواهم.

توصيات تتعلق بمؤسساته:

- إحداث مؤسسات التعليم الأصيل بالمدن المفتقرة إليها.

- إرجاع المؤسسات والداخليات الأصيلة التي تم إغلاقها أو تفويتها لجهات أخرى.

- منح حق الإيواء لتلاميذ طوره الأساسي الأولي بداخليات التعليم الأصيل، من أجل تنشيط روافده وتشجيع الإقبال عليه.

- إحياء دور الوقف الإسلامي لاستيعاب التلاميذ الآفاقيين، وذلك بتنسيق بين وزارة التربية الوطنية ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

توصيات تتعلق بالتجهيزات والدعم المادي:

- تجهيز المؤسسات الأصيلة بالوسائل التعليمية الكافية

- تخصيص منح لتلاميذ الطور الأساسي الأول، ورفع عددها لتلاميذ بقية الأطوار نظرا لأن جميع مؤسساته إقليمية، وأغلب الوافدين عليها من الفئات الفقيرة القاطنة بالبوادي والضواحي البعيدة.

- دعم التأليف المدرسي من أجل إنجاز مقرراته وتغطية ما تبقى من المواد – في مستوياته المختلفة – بالكتب المدرسية[1].

وتجدر الإشارة في خاتمة هذه التوصيات، إلى أن هذه الأخيرة قد تم إصدارها والموافقة عليها من طرف الأساتذة والمهتمين بالتعليم الأصيل قبيل الإصلاح الجديد للمنظومة التربوية التعليمية المتجسدة في الميثاق

1- التوصيات الصادرة عن أشغال المؤتمر الوطني الأول الذي نظمته الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية بتنسيق مع شعبة الدراسات الإسلامية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان أيام 29-30-31 مارس 1997.

الوطني للتربية والتكوين، والترجمة التفصيلية له في الكتاب الأبيض الذي أعدته لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية.

هذه التوصيات قد أخذ بعضها، وتم تهميش الكثير منها في مشروع الميثاق. والذي يظل رغم تنصيصه على مادة بالكامل تخص التعليم الأصيل – غير معتبر لهذا النوع من التعليم في بلادنا الإسلامية.

فهرس المصادر والمراجع[1]:

القرآن الكريم برواية ورش.

1 - الإصلاح التعليمي بالمغرب: 1956-1994. المكي المروني. منشورات الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. الطبعة الأولى لسنة 1996.

2 - أضواء على مشكلة التعليم بالمغرب. محمد عابد الجابري. دار النشر المغربية. البيضاء بدون تاريخ.

3 - تأملات وآراء حول التعليم الأصيل بالمغرب. محمد الأمين الدرقاوي المراكشي. مطبعة الأمنية. الرباط 1975

4 - الكتاب الأبيض والبياض المفقود: تعدد المرجعية وتناقض في الأهداف. عبد المجيد بن مسعود. منشورات المجلس العلمي الإقليمي بوجدة. سلسلة رقم 8 السنة 2003.

5 - مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. عني بترتيبه محمود خاطر. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976.

6 - المنجد في اللغة والأعلام. دار المشرق. بيروت. الطبعة 27 بدون تاريخ.

1- تم ترتيب هذه الفهارس حسب الأبجدية المغربية.

7- معجم مقاييس اللغة. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء. تحقيق وضبط عبد السلام هارون. المجلد الأول. دار الكتب العلمية 1389هـ.

8- معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك. عبد الكريم غريب وآخرون. سلسلة علوم التربية 9-10 الطبعة الأولى. مطبعة النجاح الجديدة 1993.

9- المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس. المتوكل عمر الساحلي. الجزء الثاني. دار النشر المغربية. البيضاء 1986.

10 - صحيح البخاري.

المجلات والدوريات والجرائد

11 - جريدة التجديد المغربية. عدد خاص حول إصلاح نظام التربية والتكوين بالمغرب. السنة 2000.

12 - جريدة التجديد المغربية. العدد 912 أبريل 2004.

13 - جريدة المحجة المغربية.

- العدد 124 السنة 2000

- العدد المزدوج 194/195 السنة 2003

14- جريدة المستقل المغربية. عدد خاص عن جامعة القرويين. أبريل 2004

15 - جريدة الميثاق المغربية. العدد 329. السنة 11/17 شتنبر 1980.

16 - مجلة دعوة الحق المغربية:

- العدد 260 نونبر 1986

- العدد 365 مارس 2002

الوثائق الرسمية

17 - التقرير الصادر عن لجنة التعليم الأصيل المنبثقة عن المؤتمر الوطني للجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية المنعقد بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان/مرتيل أيام 29-30-31 مارس 1997.

18 - الكتاب الأبيض. لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي. نونبر 2001

19 - الميثاق الوطني للتربية والتكوين. اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين. سنة 1999.

20 - التوصيات الصادر عن المؤتمر الوطني الأول للجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية 1997.

مواقع على الإنترنيت

21 - http//www.men.gov.ma

فهرس

التعليم الأصيل بالمغرب واستشراف إصلاحه وتجديده

هذا الكتاب

إن التعليم الأصيل أو التعليم الديني في أقطار العالم الإسلامي كان هو نقطة الارتكاز وحصنا منيعا ضد كل من أراد استلاب الأمة الإسلامية، وإبعادها عن هويتها الحضارية.

اتخذ التعليم الأصيل من المسجد وحلقات التعليم منطلقا ومقرا، وتطور من حيث مناهجه في مختلف البلدان الإسلامية، فعلا مرة وسمق، وهبط أخرى وتأخر، ولكنه استمر – على كل حال – يشكل الحياة العامة للمسلمين، حتى دقت نواقيس الحضارة الأوربية وجلبت مع خيلها ورجلها العلم الأوروبي، وانبهر المسلمون بما حققه هذا الأخير... ومن هنا بدأ الصراع والتجاذب بين أسلوب التعليم القديم وبين الأساليب الحديثة.

آثرت في مدخل هذا البحث الحديث عن الدوافع الذاتية والموضوعية لاختيار موضوع هذا العمل، وكذا الإشكالية العامة والخاصة للبحث، مرورا بذكر المنهجية المعتمدة لمعالجته، مختتما بتحليل المفاهيم الواردة في عنوان هذه الدراسة.

9 789920 912419